د. محمد عمارة

الدراما التاريخية

وتحديات الواقع المعاصر

مكتبة الشروق الدولية

الدراما التاريخية
وتحديات الواقع المعاصر

الطبعـــة الأولى

١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م



٩ شارع السعادة - أبراج عثمان - روكسي - القاهرة

تليفون وفاكس: ٤٥٠١٢٢٨ - ٤٥٠١٢٢٩ - ٢٥٦٥٩٣٩

Email: < shoroukintl @ hotmail. com >

< shoroukintl @ yahoo.com >

الدِّراما التاريخية
وتحدِّيات الواقع المعاصر

د. محمد عمارة



بسم الله الرحمن الرحيم

- ١ -

تمهيد

عندما وقعت هزيمة ٥ يونيو سنة ١٩٦٧م، وحدث الذهول الذي زلزل كبرياء الأمة، وهز ثقتها بنفسها.. كانت الهزيمة النفسية هي أخطر التحديات التي اقتحمت العقول والقلوب، والتي هددت بقايا آمال القيام من الكبوة، وإقالة العثرة، والأخذ بأسباب إعادة البناء، والسير على طريق القتال لتحرير الأرض، واسترداد الكرامة، وكسر شوكة الغرور الصهيوني الذي بلغ - بالمبالغة - عنان السماء!..

ومن الأصوات التي ارتفعت يومئذ، لا لتفسير الهزيمة، وإنما لتبريرها - مع حسن النوايا - أصوات مثقفين لهم وزنهم وثقلهم واحترامهم في ساحة الأدب والفن.. ومنهم المرحوم توفيق الحكيم [١٣٢٠ - ١٤٠٨هـ/ ١٩٠٢ - ١٩٨٧م]، والمرحوم الدكتور حسين فوزي [١٣١٨ - ١٤٠٩هـ/ ١٩٠٠ - ١٩٨٨م]، اللذان زعما - في التفسير التبريري للهزيمة - أن أمتنا صانعة للحضارة، لكنها ليست بارعة في القتال!!..

وأذكر أنني عندما قرأت هذا «الكلام» أحسست أننا أمام «كارثة»

جديدة، يمكن أن تؤدي إلى تكريس هزيمة يونيو.. بل ويمكن أن تفضي إلى هزيمتنا في ميدان «صناعة الحضارة» ذاتها.. ذلك أنه لا بقاء لصناعة - أية صناعة - إذا لم يبرع صناعها في إقامة القوة الضاربة التي تحميها من غائلة العدوان..

ولقد استفزتني هذه «المقولة» - يومئذ - فدفعتني إلى استدعاء تاريخ الصراع الطويل، والتحديات التاريخية، التي فرضها الغرب «الصليبي - الاستعماري» على أمتنا العربية وشرقنا الإسلامي ..من الحروب الصليبية [٤٨٩ - ٦٩٠هـ/ ١٠٩٦ - ١٢٩١م] وحتى حملة بونابرت [١٧٦٩ - ١٨٢١م] التي جاءت إلى بلادنا في مطلع عصرنا الحديث [١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م] لتواصل حلقات هذا الصراع وهذه التحديات..

ولقد ذهبتُ لاستدعاء ذلك التاريخ؛ كي تقدم حقائقه وسننه وقوانين معاركه الرد على هذه «المقولة» الخطرة، ولتثبت هذه المعارك أن أمتنا قد احترفت الجهاد القتالي دفاعا عن ديار الإسلام، كما أبدعت في الجهاد الحضاري.. وأن الأُمة - من العلماء إلى العامة - كانت حاضرة في ساحات القتال، قبل ومع الأمراء والجند والسلاطين..

ولقد كانت حصيلة هذا الجهد الفكري الذي أنجزته يومئذ هي فصول كتابي «معارك العرب ضد الغزاة».. والذي استدعى السنن والقوانين والوقائع والحقائق والدروس والعبر والعظات التي تمثلت في معارك: القادسية [١٥هـ/ ٦٣٦م]؛ وحطين [٥٨٣هـ/ ١١٨٧م]؛ والقدس [٥٨٣هـ/ ١١٨٧م]، ودمياط [٦١٥هـ/ ١٢١٨م]، والمنصورة [٦٤٨هـ/

١٢٥٠م]، وعين جالوت [٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م]، والحملة الفرنسية [١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م]، ورشيد [١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م]، وفتح عكا [١٢٤٧هـ/ ١٨٣٢م]...

ولقد شهد الاستقبال الذي استقبل به هذا الجهد ـ منذ نشر فصوله متفرقة.. وحتى الطبعات الخمس التي توالت لهذا الكتاب ـ على أن هذا الاستدعاء للتاريخ إنما كان «موقفًا معاصرًا» يدفع خطر الهزيمة النفسية التي فتحت لها هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧م أوسع الأبواب..

* * *

وإذا كانت «القراءة المجردة» للتاريخ، لا تفضي ـ بالضرورة ـ إلى «الاستدعاء المعاصر» لهذا التاريخ.. بل ربما قادت إلى «الهجرة من العصر» إلى التاريخ!.. فإن المطلوب ـ للاستدعاء المعاصر للتاريخ، كي يخدم قضايانا المعاصرة، ويجيب عن علامات استفهام واقعنا المعيش ـ ويشير إلى حلول ومخارج لمشكلاتنا ومآزقنا الحالية.. المطلوب ـ لبلوغ هذه المقاصد والغايات ـ تجاوز «القراءة المجردة» للتاريخ، إلى «الوعي» بسنن وقوانين هذا التاريخ.. ذلك أن التاريخ لا يعيد نفسه ـ حتى تكفي قراءته ـ وإنما الذي يمكن استعادته منه هي الدلالات والسنن والقوانين والدروس والعبر والعظات المستخلصة من القوانين الحاكمة لسير هذا التاريخ.

* * *



- ٢ -

الدراما: مدرسة للتربية والتثقيف

وإذا كانت «الدراما - **Drame**» هي التمثيل والتشخيص والتجسيد والمحاكاة للوقائع والأشخاص والملابسات والأجواء.. فإن دور «الدراما التاريخية» أخطر وأفعل في استدعاء الوعي بسنن التاريخ والقوانين التي حكمت معاركه وصراعاته، وهي الأقدر على توظيف الدروس والعبر والعظات التي تستدعيها من صفحات هذا التاريخ في خدمة قضايا ومشكلات وتحديات الواقع المعاصر والمعيش..

وإذا كان الإنسان - من مختلف الأمم والحضارات - قد فطن إلى هذا «السلاح» - سلاح «الدراما» - فاستخدمه في أفراحه وأحزانه.. في رخائه وشدته.. في سلمه وحربه.. منذ فجر الحضارات القديمة - من مصر.. إلى بابل وآشور.. إلى الفينيقيين.. إلى الإغريق.. وحتى العصر الحديث - وفي ظل مختلف العقائد والديانات.. حتى لقد تعايشت «دراما خيال الظل» مع التنزيه والتجريد الذي بلغه الإسلام بعقيدة التوحيد.. فإن العصر الحديث قد فتح «للدراما» - والدراما التاريخية خصوصًا - أوسع الأبواب

منذ فجر نهضتنا الحديثة، قبل قرنين من الزمان.. وذلك إدراكًا من رواد هذه النهضة أن «سلاح الدراما» هو أفعل في التربية والتعليم والتهذيب والتثقيف، وفي تجذير المقاصد والغايات في نفوس المشاهدين، ومن ثم في تحقيق التغيير والتطوير.. أفعل في تحقيق ذلك من مجرد القراءة للكتب والمقالات..

● وعندما ذهب الشيخ رفاعة الطهطاوي [١٢١٦ - ١٢٩٠هـ/ ١٨٠١ - ١٨٧٣م] إلى باريس إمامًا للبعثة التعليمية التي أرسلتها مصر إلى فرنسا [١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م].. وألّف كتاب رحلته ومشاهداته [تخليص الإبريز في تلخيص باريز] - الذي كان أول عين للشرق على الغرب في العصر الحديث - كان نصيب «الدراما» والمسرح والتمثيل - «التياتر - **Le Théatre**» و«السبكتاكل» - صفحتين من هذا الكتاب..

ولقد نبه الطهطاوي - في وصفه للدراما والمسرح والتياتر، الذي شاهده بباريس - على أن هذا الفن قد أصبح «مدرسة» شديدة التأثير في التربية والتثقيف والتوجيه.. وأنها - بذلك - قد تجاوزت الأشكال الهابطة لبعض «فنون» التمثيل التي كانت قائمة بمصر في ذلك التاريخ.. ففي هذه التمثيليات، التي يتم «**فيها تقليد سائر ما وقع.. يأخذ الإنسان منها عبرًا عجيبة؛ وذلك لأنه يرى فيها سائر الأعمال الصالحة والسيئة، ومدح الأولى وذم الثانية، حتى أن الفرنساوية يقولون: إنها تؤدب أخلاق الإنسان وتهذبها. فهي وإن كانت مشتملة على المضحكات، فكم فيها الكثير من المبكيات. ومن المكتوب على الستارة التي تُرخى بعد فراغ**

اللعب ـ ما معناه بالعربية ـ: «قد تتصلح العوائد باللعب».

ثم تحدث الطهطاوي عن أن «اللاعبين واللاعبات» في الدراما الباريسية، وإن أشبهوا «العوالم» في مصر، إلا أنهم قد امتازوا وتميزوا بأنهم «أرباب فضل عظيم وفصاحة، وربما كان لهم كثير من التآليف الأدبية والأشعار. ولو سمعت ما يحفظه اللاعب من الأشعار، وما يبدو به من التوريات في اللعب، وما يجاوب به من التنكيت والتبكيت لتعجبت غاية العجب!..

ومن العجائب، أنهم في اللعب ـ [التمثيل] ـ يقولون مسائل من العلوم الغريبة والمسائل المشكلة، ويتعمقون في ذلك وقت اللعب، حتى يظن أنهم من العلماء، حتى أن الأولاد الصغار التي تلعب تذكر شواهد عظيمة من علم الطبيعيات ونحوها.

وإذا أرادوا مثلاً لعب ـ [تمثيل] ـ شاه العجم، ألبسوا لبس ملك العجم، وأحضروه وأجلسوه على كرسي، وهكذا.

وفي هذه «السبكتاكل» يصورون سائر ما يوجد، حتى أنهم قد يصورون فَرْق البحر لموسى عليه السلام فيصورون البحر، ويجعلونه يتماوج حتى يشبه البحر شبهًا كليًا..

فالتياتر عندهم كالمدرسة العامة، يتعلم فيها العالم والجاهل»..

وإذا كان انبهار الطهطاوي بفن التمثيل الباريسي، لم ينسه نقد

سلبياته، فقال: «..ولو لم تشتمل التياتر في فرانسا على كثير من النزغات الشيطانية لكانت تعد من الفضائل العظيمة الفائدة»..

فإنه كان حريصًا ـ في إنصافه ـ على أن ينبه قارئه المصري والعربي والمسلم، على أن الفارق كبير والبون شاسع جدًا بين هذا الفن الباريسي وبين ما هو قائم في مصر، فقال ـ لقارئه العربي ـ: «..فانظر إلى اللاعبين ـ بهذه التياتر ـ فإنهم يحترزون ما أمكن عن الأمور التي يُفتتن بها، المخلة بالحياء. ففرق كبير بينهم وبين عوالم مصر وأهل السماع ـ [الغناء] ـ ونحوها..»(١).

هكذا نبه الطهطاوي قومه إلى «فن الدراما»، باعتباره «مدرسة عامة يتعلم فيها العالم والجاهل .. وتؤدب أخلاق الإنسان وتهذبها..».

● أما علي مبارك [١٢٣٩ ـ ١٣١١هـ/ ١٨٢٣ ـ ١٨٩٣م] ـ الذي صور رحلته الأوروبية في روايته التعليمية [علَم الدين] ـ التي كتبها في منتصف القرن التاسع عشر ـ فإنه قد أفرد للمسرح والتمثيل والدراما ـ في مسامرات هذا الكتاب ـ واحدة وخمسين صفحة.. تحدث فيها عن تاريخ المسرح والتمثيل، قديمًا وحديثًا.. وعن عِظَمه وعظمته.. وعن دوره الترفيهي والتربوي والنفعي، للمؤلفين والأدباء، فضلًا عن الجمهور.. وعن أنواع المسرح وفنونه.. وعن إعانة الدولة للدور الشهيرة.. مثل «أوبرا باريس».. وعن الكتب والحكايات المؤلفة للمسرح، والتي كادت أن تفوق ما أُلف في غيره من باقي العلوم والفنون .. وعن درجات المسرح وأجور

الأفاضل من الرجال من حياتهم ومالهم وعيالهم لتخليص وطنهم وأهله من سطوة الأعداء المفسدين وقهر الجبابرة المتمردين؟!..».

وبعد أن يتحدث عن سلطان «الدراما» الذي يفوق سلطان القوانين.. وتأثيرها الكبير على السرائر والقلوب، حتى لكأنها «مدرسة علمية لجميع الأحوال الأسرية، ومصباح يُستضاء به في الأحوال الباطنة، ومفتاح يُفتح به جميع الخفايا الكامنة، حتى يظهر خطرات السرائر وأوهام الظنون وأحاديث النفوس، فتبدو من خلال ستورها، ويطّلع الناس على خفيها ومستورها..».

يتحدث علي مبارك - أيضًا - عن دور «الدراما» في تكوين الرباط الثقافي الموحد للأمة؛ لأنها «قناة ممتدة بين أفراد الأمة، يسيل بها ماء العلم والمعرفة من الأعلى إلى الأدنى، ومن العلماء والخواص إلى الجهال والعوام، فتزداد العلائق التآنسية وتقوى الروابط الودادية، وتعم المنفعة، وتتم الفائدة».

ثم يخلص - علي مبارك - إلى أن هذه الفوائد هي التي «حملت العقلاء على اتخاذ «التياترو».. آلات تستعمل فيما يراد من الأمور النافعة، المحمودة في الشرع والعقل، فيفرغونها في القالب الذي تصير به من أسباب الفوز والسعادة.. فهو - «التياترو» - بهذه الحالة، كالخادم للشريعة، التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.. ومن ثم فإنه من أهم الأمور وأولاها بالاعتناء والرعاية.. إنه أحسن المبتدعات البشرية

وأجملها، وأعظمها فائدة وأكملها..»[٢].

ولا ينسى علي مبارك أن ينبه على الفارق الكبير بين هذه «الدراما» الهادفة والمتطورة، وبين التمثيليات التي تقدمها الفرق الشعبية في مصر - ومنها فرقة «أولاد رابية» - الذين، وإن حققوا مقاصد نافعة، عندما «يدخلون في تقليد بعض أحوال حاضرة أو أمور ماضية، يأخذون في تمثيلها وتصويرها وإبرازها في معرض المحسوس المشاهد، سواء كانت أمورًا اختراعية.. أم كانت أمورًا حقيقية حصلت في الواقع ونفس الأمر.. وقد يكون لهذه التقليدات، في بعض الأحيان، نفع في الجملة.. إلا أن ذلك -[في تمثيليات هذه الفرق الشعبية] - قليل نادر كالمعدوم. وغالب أحوالهم - على ما سمعته عنهم ورأيته في بعض الأحيان منهم - مبني على الفحش والسخف والعيب، مما تأباه النفوس وتمجه الطباع.. وينفر منه كل من له جانب من العقل والدين ومسكة من الحياء والحشمة.. ويؤثر في فساد الأخلاق وتغيير الطباع عند الأغرار من الرجال والصبيان والأطفال والنساء..»[٣].

هكذا فتح التفاعل الثقافي مع الغرب - عند رواد نهضتنا الحديثة - الأبواب لاتخاذ «الدراما» - ومنها الدراما التاريخية - سلاحًا لنقد الواقع المعيش، ومواجهة تحديات العصر، واستدعاء سنن التاريخ ودروسه وعبره وعظاته وقوانينه على المسرح؛ لجعل ذلك «مدرسة عامة يتعلم فيها الجميع تهذيب الأخلاق» - بعبارة الطهطاوي - .. و«جامعة لتربية النفوس على

فضائل مقاومة الجبروت والجبابرة.. والجهاد لتحرير الأوطان.. وتهيئة النفوس لخدمة الشريعة، التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر..» - وفق عبارة علي مبارك باشا -..

* * *

ولم تقف نهضتنا الحديثة من «الدراما» والتمثيل والمسرح عند هذا «الفكر النظري»، وإنما سلكت سبيل التطوير للفرق التمثيلية الشعبية؛ ليأخذ التمثيل عندنا - في النصف الثاني من القرن التاسع عشر - الشكل المنظم والراقي الذي يحاكي المسرح الأوروبي .. فكانت جهود مارون النقاش [١٢٣٢ - ١٢٧١هـ/ ١٨١٧ - ١٨٥٥م] في لبنان سنة ١٨٤٨م.. وجهود أحمد أبي خليل القباني [١٢٤٨ - ١٣٢١هـ/ ١٨٣٣-١٩٠٣م] في سوريا سنة ١٨٦٥م.. وجهود يعقوب صنوع [١٢٥٥ - ١٣٣٠هـ/ ١٨٣٩ - ١٩١٢م] في مصر سنة ١٨٧٠م.. والتي غلب على معظمها طابع التقليد للمسرح الأوروبي، والتعريب لنصوصه الدرامية..

وذلك إلى أن دخلت الرؤية الإسلامية إلى هذا الميدان.. فكان من أبرز إنجازاتها الروايات التمثيلية لعبدالله النديم [١٢٦١ - ١٣١٣هـ/ ١٨٤٥ - ١٨٩٦م] - وهو من تلاميذ جمال الدين الأفغاني [١٢٥٤ - ١٣١٤هـ/ ١٨٣٨ - ١٨٩٧م] وأعلام علماء مدرسة الإحياء والتجديد -.. رواياته «العرب» و«الوطن»، التي مثلها هو وتلاميذه على مسرح «زيزنيا» - بالإسكندرية - في حضرة الخديوي توفيق [١٢٦٨ - ١٣٠٩هـ/ ١٨٥٢ -

١٨٩٢م][4].. ثم رواية «فتح الأندلس» التي أخرجها مصطفى كامل [١٢٩١ ـ ١٣٢٦هـ/ ١٨٧٤ ـ ١٩٠٨م] في ديسمبر سنة ١٨٩٣م ـ بعد اتصاله بعبدالله النديم، وتأثره به ـ.. وهي الرواية التي ضمّنها حوادث فتح العرب المسلمين للأندلس، وسنن الفتح، وقوانين الغلبة، وشروط التقدم والتحضر، مستدعيًا تاريخها لمواجهة تحديات الهزيمة النفسية التي شاعت بمصر عقب هزيمة العرابيين والثورة العرابية، واحتلال الإنجليز لمصر [١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م][5]..

* * *

وإذا كانت هذه هي مكانة «الدراما» في الآداب العالمية، بمختلف الحضارات.. وأهميتها كمدرسة للتربية والتثقيف والتهذيب..

وإذا كان هذا هو دورها في استدعاء التاريخ، بسننه وقوانينه ودروسه وعبره وعظاته، لتفعل فعلها في العصر والواقع المعيش..

فماذا يمكن «للدراما» ـ في ظل تقنيات العصر الذي نعيشه ـ أن تستدعيه من تاريخنا الإسلامي؛ لتقدم لأمتنا العربية والإسلامية زادًا يعينها على مواجهة التحديات الشرسة التي تكاد تعصف بوجودها ـ فضلاً عن قيمها ومقومات هويتها ـ هذه الأيام؟؟

ذلك هو السؤال المحوري.. الذي تطمح هذه الدارسة أن تقدم عليه إجابات موجزة.. في صورة حقائق.. ووقائع.. وإشارات وتنبيهات..

* * *



- ٢ -

الاستدعاء الدرامي للتاريخ.. وقضايا الواقع المعيش

في واقعنا العربي والإسلامي الراهن، مشكلات وأزمات ومآزق وتحديات تأخذ بخناق الأمة، وتعوق نهضتها وتقدمها وانعتاقها.. ولقد غدت همومها هذه تحتل المساحة الأوسع من فكرنا الوطني والقومي والإسلامي المعاصر.. وتستطيع «الدراما التاريخية» أن تستدعي من متن التاريخ الإسلامي ومعاركه «وعيًا تاريخيًا» ينمي «وعينا المعاصر» بمشكلاتنا الحالية.. و«روحًا جهادية» تشحن وجدان الأمة «بالكبرياء المشروع»، وتعينها على ترتيب الأوراق والأولويات، وتعظيم الإمكانات، وحشد الطاقات لتحقيق الانتصار على هذه التحديات المعاصرة.

خصوصًا وأن «للدراما» دوائر للتأثير أوسع من دائرة القراءة للكتب والمقالات.. وتأثيرًا أفعل لدى المشاهدين لها - بحكم تعدد أدوات التأثير فيها.. وبحكم نفاد الأسلوب الفني.. وبحكم الثورة الحادثة اليوم في وسائل توصيلها إلى المشاهدين... وهو تأثير يفوق - بما لا يقاس - تأثير الكلام المقروء..

وإذا شئنا إشارات إلى عدد من القضايا والمشكلات والتحديات، التي تواجهها أمتنا في هذه المرحلة من تاريخها.. والتي يمكن «للدراما» التاريخية أن تزيد وعينا بها، وبقوانين وسنن التعامل معها.. فإننا نشير إلى:

☐ تداعي الأمم على الإسلام وأمته وحضارته:

والتحالفات غير المقدسة التي جمعت وتجمع قوى دولية ومذاهب وأيديولوجيات وديانات، بينها الكثير من التناقضات والعداوات التاريخية.. لكنها اجتمعت وتداعت اليوم ضد أمة الإسلام.. حتى لقد أصبحنا نردد كثيرًا حديث رسول الله ﷺ الذي تنبأ فيه بتداعي الأمم علينا، والذي قال فيه:

- «**يوشك أن تتداعى عليكم كل الأمم من كل أفق كما تداعى الأَكَلَة على قصعتها**».

- قلنا: يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟

- قال: «**أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن**».

- قلنا: وما الوهن؟

- قال: «**حب الحياة وكراهية الموت**». رواه أبو داود والإمام أحمد...

وحتى أصبح هذا «التداعي» مصدرًا لرياح الهزيمة واليأس والقنوط التي تهب على قطاعات واسعة من الناس.

لقد تحالفت الصليبية الغربية مع الصهيونية اليهودية ضد الإسلام والمسلمين، رغم ما بينهما - دينيًا وتاريخيًا - من تناقضات واضطهادات وثارات.. بل ومدت الصهيونية حبال تحالفاتها مع الهندوسية، ضد ما يسمونه «الخطر الإسلامي العالمي»!.. وغدت هذه التحالفات - غير المقدسة - من أخطر التحديات التي تواجه المسلمين في لحظاتهم الراهنة..

صحيح أن الجهاد الفكري يذكِّر المسلمين بأن هذا التداعي هو سنة من سنن التدافع بين الحق والباطل، حدثنا عنها القرآن الكريم.. وأنها دليل على أننا على الحق، وأن الباطل هو الذي جمع ويجمع أطراف هذه التحالفات غير المقدسة.. ومن ثم فلا مبرر لليأس أو القنوط.. بل على العكس، إنها آية من آيات النصر القادم للإسلام، بإذن الله..

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧].

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف: ٨].

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣- ١٧٤].

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ

ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب: ١٠ - ١١].

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢].

❑ والسؤال:

- هل في تاريخنا الإسلامي أشباه ونظائر يمكن أن تستدعيها «الدراما التاريخية»، لتزيد وعينا المعاصر بسنن المواجهة لهذه التحالفات غير المقدسة؟.. ولتسهم في تفجير الطاقات التي تعين الأمة على التصدي لهذه المخاطر التي تأخذ منا بالخناق؟!.

إننا نجيب - على هذا التساؤل - بنعم.. ونلفت النظر إلى حقبتين من حقب تاريخنا الإسلامي، تستطيع «الدراما التاريخية» أن تستدعي منهما الوقائع والأحداث التي توحي وتلهم وتخدم موقفنا الراهن أمام هذا «التداعي» وهذه التحالفات...

* * *

- ٤ -

في تاريخ صدر الإسلام

عندما ظهر الإسلام، لم يكن هناك طرف من أطراف الديانات القائمة يعترف بالآخر.. فاليهود لا يعترفون بأي من الأغيار.. والنصارى لا يعترفون باليهود.. والعلاقة بينهما علاقة الإنكار والنفي والاضطهاد.. ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣]..

بل لقد ساد هذا النفي للآخر، والاضطهاد له حتى داخل النصرانية ذاتها!..فالنصرانية الغربية - الرومانية.. الملكانية - مارست الإبادة للنصرانية الشرقية - اليعقوبية ...

ووحده جاء الإسلام، فسن السنة غير المسبوقة، في السماحة والاعتراف بكل الآخرين.. بل وتقدم صاعدًا على هذا الطريق، فجعل «الآخر» - اليهود والنصارى - جزءًا من «الذات» - أهل الكتاب، المتدينين بدين الله الواحد - وجعل يهود المدينة - منذ قيام دولته - جزءًا من الأمة الواحدة والرعية المتحدة.. بينهم البر المحض، والنصح والنصيحة والتناصر، دون الإثم..

ومع ذلك وبالرغم منه، ذهب اليهود العبرانيون ـ المفترض أنهم متدينون بدين توحيدي ـ إلى التحالف مع الوثنية الجاهلية التي تعبد الأصنام، وتنكر وترفض كل الديانات السماوية.. تحالف اليهود معها ضد الإسلام، الذي بلغ في التوحيد أرقى درجات التنزيه والتجريد، والذي فتح الأبواب الواسعة أمام التعاون على البر والتقوى بين سائر أبناء الديانات، مقررًا أن «لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم»..

ذهب اليهود العبرانيون هذا المذهب، فسعوا إلى مشركي قريش يؤلبونهم على حرب الإسلام ودولته الوليدة، قائلين لهم: «إننا سنكون معكم حتى نستأصله»!.. وسعوا إلى مشركي «غطفان» فدعوهم إلى الانضمام لهذا الحلف غير المقدس، وأغروهم بإعطائهم ثمار سنة كاملة من واحات خيبر ومزارعها وحدائقها إن هم دخلوا هذا الحلف ضد الإسلام والمسلمين!.

بل وبلغ اليهود ـ في سبيل جمع هذه الأطراف المتناقضة، ضد الإسلام والمسلمين ـ إلى الحد الذي خانوا فيه دينهم السماوي، عندما فضلوا الوثنية على الإسلام.. وذلك حين سألهم مشركو قريش:

ـ «يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد. أفديننا خير من دينه»؟

ـ فكانت إجابة اليهود: «بل دينكم خير من دينه، فأنتم أولى بالحق»!

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه «الخيانة الفكرية» ـ التي سبقوا بها «مكيافيلي» [١٤٦٩ ـ ١٥٢٧م]، وتفوقوا عليه ـ فقال:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء: ٥١].

إنها صفحة من صفحات تاريخ التحالفات غير المقدسة ضد الإسلام وأمته ودولته.. تستطيع «الدراما» استدعاءها لتقول لحاضرنا الراهن، من خلال وقائعه وقوانين صراعاته: إن يهود العصر، الذين عضوا اليد الإسلامية التي تفردت بالإحسان إليهم، فتحالفوا مع جلاديهم، الذين اضطهدوهم واحتقروهم وأذلوهم طوال تاريخهم ضد الإسلام والمسلمين.. إن لهم ـ في هذه التحالفات غير المقدسة ـ تاريخًا.. وإن لهذا التاريخ عطاءً في الوعي وتحريك الطاقات تستطيع أن تقدمه الدراما التاريخية إلى واقعنا المعيش وثقافتنا المعاصرة..

* * *



- ٥ -

وفي التاريخ الوسيط

إبان الحروب الصليبية [٤٨٩ - ٦٩٠هـ/ ١٠٩٦ - ١٢٩١م] التي شنها الغرب الأوروبي - بقيادة الكنيسة الكاثوليكية - ضد الإسلام وأمته وحضارته وعالمه.. والتي استمرت حملاتها قرنين من الزمان.. سعت الكنيسة الكاثوليكية - المفترض أنها تدين بدين سماوي، يرى الإسلام أهله الأقرب مودة للمسلمين، ويتحدث قرآنه عن عيسى عليه السلام وأمه عليها السلام، وعن الإنجيل بالتكريم والتعظيم والإنصاف - سعت هذه الكنيسة - ومن ورائها أوروبا - إلى عقد تحالف غير مقدس، مع الوثنية التترية ضد الإسلام والمسلمين؛ وذلك لتضع عالم الإسلام بين فكي الكماشة وشقي الرحى!..

ففي سنة ٦٤٢هـ ـ ١٢٤٥م أرسل البابا «إينوسنت الرابع» [١٢٤٣ - ١٢٧٠م] بعثة إلى عاصمة الدولة التترية الشرقية - «قراقورم» -، ورأس هذه البعثة مندوب البابا «جون ده بيانو كاربيني»، فقامت بمباحثات شاقة وطويلة؛ لتحويل مطامع التتار واتجاه غزوهم إلى البلاد الإسلامية، بدلًا من

أوروبا.. ولعقد التحالف بين الصليبية النصرانية والوثنية التترية ضد الإسلام والمسلمين!..

وتكرر السعي الصليبي على طريق إقامة هذا الحلف غير المقدس، فاستقبل الملك - القديس - «لويس التاسع» [١٢١٤ - ١٢٧٠م] - وهو «بقبرص»، في طريقه لغزو مصر، والوصول عبرها لاحتلال الأرض المقدسة - استقبل بعثة تترية - في شتاء [١٢٤٨ - ١٢٤٩م] من «جغطاي» خان التتار.. ولما عادت البعثة التترية إلى «قراقورم»، صحبتها بعثة صليبية فرنسية لاستكمال مفاوضات هذا التحالف الصليبي - الوثني، ضد الإسلام والمسلمين..

ولم تقض هزيمة «لويس التاسع» في «المنصورة» [٦٤٨هـ ١٢٥٠م] على هذا المسعى الصليبي.. فخرجت من الحصن الصليبي في عكا [٦٥٠هـ ١٢٥٢م] بعثة فرنسية صليبية أخرى، رأسها رجل الدين «جليوم رذبروك»، فذهبت إلى «قراقورم»، وفاوضت في بلاط «الخان» التتري الوثني «منكو قآن» مدة خمسة أشهر لعقد هذا الحلف غير المقدس ضد الإسلام والمسلمين.

ولقد استعان الصليبيون الكاثوليك، في هذه المفاوضات والتحالفات بالنصارى النساطرة، الذين كانوا - في السابق - ضحايا الاضطهاد الكاثوليكي الأوروبي، والذين لجأوا إلى الشرق فعاشوا آمنين فيه!.. استعان المضطهِد بالمضطهَد، على عقد الحلف الصليبي - الوثني ضد الإسلام!..

وكانت الزوجة النسطورية «لهولاكو» [١٢١٧ ـ ١٢٦٥م] ـ واسمها «دوقوز خاتون» ـ إحدى أدوات هذه المساعي، إبان المفاوضات التي استمرت في «قراقورم» بين «هولاكو» وبين ممثل الأمراء الصليبيين «هيتوم» ـ ملك «أرمينية» ... وهي المفاوضات التي انتهت بعقد هذا الحلف ضد الإسلام والمسلمين.. والذي بموجبه تجهزت حملة «هولاكو» للزحف المدمر على بلاد الشرق الإسلامي.. بل واستطاع هذا التحالف أن يجعل قائد هذه الحملة نصرانيًا نسطوريًا ـ من قبيلة تترية تنصرت، وهو القائد «كُتبغا»!

ولقد انضم الجيش الصليبي ـ بقيادة الأمير «هيتوم» ـ إلى الجيش التتري الوثني ـ الذي يقوده النسطوري «كتبغا» ... ونهض البطريق الأرمني النصراني كي يمنح «البركة» للجيش الوثني الزاحف لتدمير عاصمة الخلافة الإسلامية ومدنها ومقدساتها[٦]!..

فهي ـ أيضًا ـ حقبة تاريخية، يمكن للدراما أن تستدعي وقائعها وسننها والأشباه والنظائر التي تجمع بينها وبين ما تواجهه أمتنا اليوم من تحالفات غير مقدسة، تداعت فيها الأمم على عالم الإسلام تداعي الأكلة على قصعتها!.

* * *



- ٦ -

الجسم المعادي - المُقحم - بين التمدد والحصار

وإذا كان الحلف «الصليبي - الصهيوني» - اللا أخلاقي - ضد الإسلام وأمته وحضارته، قد نجح [١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م] في أن يغرس في قلب أمتنا كيانًا صهيونيًا غربيًا ومعاديًا، يقطع وحدة وطن العروبة وعالم الإسلام، ويمثل «قفازًا» للقبضة الاستعمارية الغربية، التي تعمل على إجهاض وحدة أمتنا وتقدمها ونهضتها..

وإذا كانت المعركة الدائرة الآن بين أمتنا وبين هذا الكيان الغريب والمقحم قسرا في جسد الأمة، هي حول:

- تمدد هذا الكيان.. وقبوله.. والتطبيع معه.. ومن ثم فتح الأبواب لهيمنته على عالم الإسلام؟

- أم حصاره.. ورفضه، إلى أن يأذن الله بدفعه إلى مصير الكيانات الصليبية الاستيطانية، التي قام على غرارها؟؟..

إذا كانت هذه هي طبيعة هذا التحدي الذي تعيشه أمتنا على أرض

فلسطين.. فإن في وقائع صراع أمتنا ضد الكيانات الاستيطانية الصليبية - في تاريخنا الوسيط - الكثير من الدروس والقوانين والعبر والعظات التي يمكن أن تستدعيها «الدراما التاريخية»؛ كي تخدم ثقافتنا الجهادية في هذه الأيام..

فلقد سبق وأدركت دول الفروسية الإسلامية، التي قامت بالمشرق العربي؛ لاقتلاع الكيانات الصليبية - الدولة الزنكية - النورية [٥٢١ - ٦٤٨هـ/ ١١٢٧ - ١٢٥٠م]، والدولة الأيوبية [٥٦٧ - ٦٤٨هـ/ ١١٧١ - ١٢٥٠م]، والدولة المملوكية [٦٤٨ - ٧٨٤هـ/ ١٢٥٠ - ١٣٨٢م] - أدركت هذه الدول - التي نهضت بعبء التحرير لديار الإسلام من الكيانات الصليبية الاستيطانية - أن استراتيجية حصار هذه الكيانات الاستيطانية، هي الشرط الأول والمقدمة الضرورية لاقتلاع هذه الكيانات.. ولذلك، كان حرص هذه الدول - التي بدأت بالمشرق العربي - على مد «طوق الوحدة» - المحاصر للكيانات الاستيطانية - إلى مصر، في غرب هذه الكيانات.. وعلى أن يكون الطريق الذي يربط مصر بالمشرق العربي، والذي يلتف - من الجنوب - حول هذه الكيانات الصليبية - طريق «الكرك» و«الشوبك» - هو حزام الضغط العربي الإسلامي على هذه الكيانات الغربية المرفوضة، فلا يبقى أمامها سوى طريق البحر - الذي جاءت منه - لتذهب عبره إلى المواطن التي جاءت منها!..

وفي سبيل بناء هذه الاستراتيجية، وإقامة هذا «الطوق»، وتوحيد الإمارات العربية المحيطة بهذا الجسم الاستيطاني الصليبي الغريب.. حارب

ـ ٦ ـ

الجسم المعادي ـ المُقحم ـ بين التمدد والحصار

وإذا كان الحلف «الصليبي ـ الصهيوني» ـ اللا أخلاقي ـ ضد الإسلام وأمته وحضارته، قد نجح [١٣٦٧هـ/١٩٤٨م] في أن يغرس في قلب أمتنا كيانًا صهيونيًا غريبًا ومعاديًا، يقطع وحدة وطن العروبة وعالم الإسلام، ويمثل «قفازًا» للقبضة الاستعمارية الغربية، التي تعمل على إجهاض وحدة أمتنا وتقدمها ونهضتها..

وإذا كانت المعركة الدائرة الآن بين أمتنا وبين هذا الكيان الغريب والمقحم قسرا في جسد الأُمة، هي حول:

ـ تمدد هذا الكيان.. وقبوله.. والتطبيع معه.. ومن ثم فتح الأبواب لهيمنته على عالم الإسلام؟

ـ أم حصاره.. ورفضه، إلى أن يأذن الله بدفعه إلى مصير الكيانات الصليبية الاستيطانية، التي قام على غرارها؟؟..

إذا كانت هذه هي طبيعة هذا التحدي الذي تعيشه أمتنا على أرض

صلاح الدين الأيوبي [٥٦٤ - ٥٨٩هـ/ ١١٦٩ - ١١٩٣م] أكثر من خمسة عشر عامًا [٥٦٨ - ٥٨٣هـ/ ١١٧٣ - ١١٨٧م] حتى وحد «إمارات الطوق»!!.. وعندما جمع أمراء «الموصل»، و«الجزيرة»، و«أربيل»، و«كيفا»، و«ماردين»، و«قونية»، و«أرمينيا» [٥٦٥هـ ١١٧٠م] على هذا «الحلف الطوقي» ثم أدخل فيه «حلب» [٥٧٩هـ ١١٨٣م].. عند ذلك - وليس قبله - انفتحت إمكانات الضغط على الكيانات الصليبية.. ومعارك الانتصارات - على هذه الكيانات - أمام صلاح الدين[٧]!..

فهو درس في استراتيجية التعامل مع الكيانات الاستيطانية الاستعمارية المقحمة قسرًا في قلب الأمة ووطنها.. كي لا تتمدد - من خلال التشرذم القطري - فتهيمن على مجمل ديار الإسلام..

هو درس استراتيجي، تستطيع «الدراما التاريخية» أن تعلمنا منه اليوم الكثير والكثير.. وأن تخدم الحقيقة الاستراتيجية المعاصرة التي تقول: إن أي انتصار على الكيان الصهيوني لم يتحقق إلا في ظل تحالف مصر والشام.. وأن تمدد هذا الكيان الصهيوني، واختراقه لأوطان الأمة لم يحدث إلا في ظل عزل مصر عن المشرق، وانفراط عقد «دول الطوق» المحيطة بهذا الكيان!..

* * *



- ٧ -

وغواية الأقليات

عندما ظهر الإسلام [١٣ق. هـ ٦١٠م] كان المشرق - باستثناء وسط شبه الجزيرة العربية - واقعًا تحت الاحتلال الروماني - الفارسي، والقهر الديني والسياسي والثقافي والحضاري، الذي استمر لعشرة قرون - من الإسكندر الأكبر [٣٥٦ - ٣٢٤ق. م] في القرن الرابع قبل الميلاد.. إلى «هرقل» [٦١٠ - ٦٤١م] في القرن السابع للميلاد - ومأساة الاضطهاد الروماني والبيزنطي للنصرانية الشرقية لا تزال الحدث التاريخي الذي تؤرخ به الكنائس الشرقية حتى الآن، وتسميه «عصر الشهداء»!

ولذلك كان ظهور الإسلام، الذي يؤمن أهله بكل النبوات والرسالات والشرائع والكتب السماوية.. وكانت الفتوحات الإسلامية - التي دارت جميع معاركها ضد الروم والفرس - والتي حررت أقطار الشرق من هذا الاحتلال الاستعماري والقهر الحضاري، وحررت - مع الأرض - الضمائر والعقائد لشعوب الشرق من الاضطهاد الديني.. كان ذلك - بشهادة أهل تلك الديانات - إنقاذًا لعقائدهم من الإبادة الوشيكة.. وعقابًا

إلهيًا للرومان على هذا القهر والاضطهاد الذي مارسوه.. فبسيادة الدولة الإسلامية أقاليم الشرق، تم إنقاذ ديانات شعوبه.. وتُركوا وما يدينون، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين. فعاشت اليهودية والنصرانية في الدولة الإسلامية، وأسهم المتدينون بهما في بناء حضارة جديدة واحدة، هي الحضارة الإسلامية.. حتى أن هذه الحضارة لم تعرف في تراثها مصطلح «الأقليات»، وإنما عرفت مصطلح «الأمة»، التي جعل اللّه تنوعها إلى شعوب وقبائل، وملل ونحل وشرائع، وألسنة ولغات وقوميات سُنة من سنن اللّه التي لا تبديل لها ولا تحويل..

ولقد شهد بهذه الحقيقة - حقيقة الإنقاذ الإسلامي لديانات الشرق القديمة.. وبأن بقاء هذه الديانات إنما كان «هبة الإسلام» - شهد بها أهل تلك الديانات، في أقدم النصوص التاريخية التي عاصر أصحابها الفتوحات الإسلامية لتلك البلاد.

فالأسقف القبطي «يوحنا النقيوسي» - الذي عاصر الفتح الإسلامي لمصر - يقول - في كتابه الذي هو أقدم تأريخ لهذا الفتح -:

«إن الله، الذي يصون الحق، لم يهمل العالم، وحكم على الظالمين، ولم يرحمهم لتجرئهم عليه، وردهم إلى يد الإسماعيليين - [العرب المسلمين: أبناء إسماعيل عليه السلام] -. ثم نهض المسلمون وحازوا كل مصر. وكان عمرو بن العاص يقوى كل يوم في عمله، ويأخذ الضرائب التي حددها، ولم يأخذ شيئًا من مال الكنائس، ولم يرتكب شيئًا ما،

سلبًا أو نهبًا، وحافظ على الكنائس طوال الأيام»[8].

وبطريرك الأقباط يومئذ - «بنيامين» [٣٩هـ - ٦٥٩م] - الذي طارده الرومان فهرب في الصحارى ثلاثة عشر عاما.. أحرق الرومان فيها أخاه انتقامًا من هربه!!.. أرسل إليه عمرو بن العاص [٥٠ ق. هـ ٤٣هـ/ ٥٧٤ - ٦٦٤م] عهد الأمان، واستقبله وأكرمه، وحرر له ولرعيته كنائسهم التي اغتصبها الرومان.. فعاد «بنيامين» إلى رعيته وكنائسه وأديرته، ودخل - في موكب الفرح والحرية - إلى الإسكندرية، في ظل التحرير الإسلامي لمصر ونصرانيتها.. ويصف الأسقف «يوحنا النقيوسي» ذلك، فيقول:

«ودخل الأنبا «بنيامين» بطريرك المصريين مدينة الإسكندرية، بعد هربه من الرومان ثلاثة عشر عامًا، وسار إلى كنائسه، وزارها كلها. وكان كل الناس يقولون: هذا النفي وانتصار الإسلام كان بسبب ظلم هرقل الملك، وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين.. وهلك الروم لهذا السبب، وساد المسلمون مصر»[9].

وتتكرر هذه الشهادات - على التحرير الإسلامي للضمائر والعقائد مع تحريره للأوطان - فيقول الأسقف «ميخائيل السرياني»:

«إن الإمبراطور الروماني لم يسمح لكنيستنا بالظهور - [أي لم يكن معترفًا بها!] - ولم يصغ إلى شكاوى الأساقفة فيما يتعلق بالكنائس التي نهبت، ولهذا، فقد انتقم الرب منه. لقد نهب الرومان الأشرار كنائسنا وأديرتنا بقسوة بالغة، واتهمونا دون شفقة، ولهذا جاء إلينا من الجنوب

أبناء إسماعيل لينقذونا من أيدي الرومان، وتركنا العرب نمارس عقائدنا بحرية، وعشنا في سلام»[١٠].

بهذه الحقيقة ـ حقيقة إنقاذ الإسلام للديانات الأخرى، والسلام الديني الذي حققه الفتح الإسلامي لأبناء تلك الديانات لأول مرة في تاريخهم ـ شهد الشهود من أهل تلك الديانات ـ وفي المقدمة منهم رجال الدين! ... وعاش أهل تلك الديانات جزءًا من الأمة الواحدة، والرعية الواحدة للدولة الإسلامية عبر تاريخ حضارة الإسلام..

لكن الغواية الاستعمارية ـ إبان فترات الغزو الغربي، الذي حاول عبر هذا التاريخ إعادة اختطاف الشرق من التحرير الإسلامي والدولة الإسلامية ـ قد سعت ـ هذه الغواية ـ لتحويل «نعمة» التعددية الدينية ـ التي جعلها الإسلام سُنة وقانونًا ـ إلى «نقمة» وثغرات اختراق لأمتنا، من خلال بعض أبناء هذه الأقليات!

ولقد شهد الباحث والمؤرخ النصراني اللبناني «جورج قرم» على هذه الحقيقة، عندما أشار إلى أن هذه الغواية الاستعمارية لأبناء هذه الأقليات النصرانية قد كانت من أهم الأسباب التي أحدثت توترات طائفية، وردود أفعال سلبية إزاء أبناء هذه الأقليات عبر تاريخ الإسلام.. فقال:

«إن هذا التوتر قد ارتبط بفترات التدخل الأجنبي في البلاد الإسلامية، وقام الحكام الأجانب بإغراء واستدراج الأقليات الدينية غير المسلمة بالتعاون معهم ضد الأغلبية المسلمة.. إن الحكام الأجانب ـ بمن

فيهم الإنجليز ـ لم يحجموا عن استخدام الأقلية القبطية في أغلب الأحيان ليحكموا الشعب ويستنزفوه بالضرائب، وهذه ظاهرة نلاحظها في سوريا أيضا، حيث أظهرت أبحاث «جب» [١٨٩٥ ـ ١٩٧١م] و«بولياك» كيف أن هيمنة أبناء الأقليات في المجال الاقتصادي أدت إلى إثارة قلاقل دينية خطيرة بين النصارى والمسلمين في دمشق سنة ١٨٦٠م وبين الموارنة والدروز في جبال لبنان سنة ١٨٤٠م و١٨٦٠م. ونهايات الحروب الصليبية قد أعقبتها، في أماكن عديدة، أعمال ثأر وانتقام ضد الأقليات المسيحية ولا سيما الأرمن التي تعاونت مع الغازي..»[١١].

وإذا كانت إحدى مشكلات عصرنا وتحديات واقعنا المعيش، هي لعب الاستعمار الغربي «بورقة الأقليات» ـ حتى الأقليات القومية المسلمة ـ لزيادة تمزيق عالمنا الإسلامي على أسس دينية وعرقية وطائفية ومذهبية، فإن الدراما التاريخية تستطيع أن تستدعي إلى ثقافتنا المعاصرة هذه الصفحات التي لعب الاستعمار فيها مع أمتنا «بورقة الأقليات».. والتي مارس إبانها غواية شرائح من أبناء هذه الأقليات، وذلك لتقول هذه الدراما التاريخية للأمة ـ أقليات وأغلبيات ـ: إن عواقب الاستجابة لهذه الغواية كانت ردود فعل سلبية ومؤلمة وأحيانا دامية.. وأن وحدة الأمة، التي تجعل الأقليات «لبنات» في جدار الأمن الوطني والقومي والحضاري، هي السبيل الآمن لتحقيق السلام الاجتماعي والحرية وكل حقوق المواطنة للجميع.. أما الغواية بالخيانة، التي يريد بها الاستعمار والصهيونية تحويل نعمة التعددية

إلى نقمة التشرذم، وإلى جعل هذا التنوع ثغرات اختراق لأمتنا وهويتنا الحضارية، فهو الكارثة والطامة الكبرى.. وعواقب فتنتها لا تصيب الذين ظلموا منهم خاصة!.. وإنما تعم بلواها الكثير من الأبرياء!..

إن عبرة هذه الصفحات التاريخية تقول: إن أمن وأمان الأقليات إنما يتحقق في الوفاق العام داخل إطار الأمة، وليس بالاستجابة لغوايات الاستعمار.. فالتدخل الأجنبي والحمايات الأجنبية، هو «سحابات سوداء» ليس لها دوام، وليس فيها ضمان لأمن أو أمان.. بينما الأمن والأمان قائم في حضن الأمة، وفي دفء الوحدة الوطنية والقومية والحضارية..

لقد تحدث مخطط «ديفيد بن جوريون» [١٨٨٦ - ١٩٧٣م] و«موشي شاريت» [١٨٩٤ - ١٩٦٥م] - في خمسينيات القرن العشرين - عن الثوابت الصهيونية في غواية الأقليات النصرانية في العالم العربي.. فقالا في هذا المخطط: «إن إذكاء النار في مشاعر الأقليات المسيحية في المنطقة، وتوجيهها نحو المطالبة بالاستقلال والتحرر من الاضطهاد الإسلامي - [كذا؟!] - هو عمل إيجابي، لما ينتج عنه من آثار تدميرية على المجتمع المستقر»[١٢]!!

ولقد اعتبر «بن جوريون» أن تنفيذ هذا المخطط - اللعب بورقة الأقليات - هو الضمان لبقاء الكيان الصهيوني، المغروس قسرًا في جسد الأمة العربية؛ فقال: «نحن شعب صغير، وإمكاناتنا ومواردنا محددة، ولا بد من اختزال هذه المحدودية في مواجهة أعدائنا العرب، من خلال معرفة

وتشخيص نقاط الضعف لديهم، وخاصة العلاقات القائمة بين الأقليات الإثنية والطائفية، حتى نضخّم ونعظّم هذه النقاط لتصبح معضلة يصعب حلها أو احتواؤها»[١٣].

ولقد استمرت هذه الغواية ـ الاستعمارية ـ الصهيونية ـ للأقليات؛ كي تسير على طريق الصهيونية، فتعض اليد التي أنقذت دياناتها، وحررت أوطانها، وجعلتها جزءًا أصيلًا من نسيج الأمة والحضارة، وأشركتها ـ لأول مرة ـ في صناعة الحضارة.. استمرت هذه الغواية ثابتًا من ثوابت الاستراتيجية الصهيونية، فخلصت أبحاث الندوة التي عقدتها مراكز البحث والسياسة ـ بدعوة من «مركز بارايلان للأبحاث الاستراتيجية» ـ التابع لجامعة بارايلان الإسرائيلية ـ في ٢٠ مايو سنة ١٩٩٢م... خلصت أبحاث هذه الندوة إلى الادعاء **«بأن الأقليات في العالم العربي هي شريكة لإسرائيل في المصير، ولا بد من أن تقف مع إسرائيل في مواجهة ضغط الإسلام والقومية العربية»**[١٤]!!

فالمخطط «القديم ـ الجديد» هو جعل هذه الأقليات ثغرات اختراق لوحدة الأمة وأمنها الوطني والقومي والحضاري، بدلًا من أن تكون ـ كما أرادها الإسلام وحضارته ـ لبنات في بناء الأمة، وجزءًا أصيلًا من نسيجها الوطني.. إنهم يريدون الأقليات «شريكًا للصهيونية»، وليس جزءًا من أمتها العربية.. الأمر الذي يجعل هذه الصفحات من التاريخ مادة للدراما التاريخية الموحية بالكثير لواقعنا الإسلامي الراهن.. وذلك إذا هي استدعت

إلى وعينا المعاصر هذا الوعي بصفحات التاريخ..

* * *

صفحة الغواية الصليبية عند اقتحام القدس [٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م]

ففي الوقت الذي ذبح فيه الصليبيون وأحرقوا جميع من وقع في قبضتهم من مسلمي القدس.. في مذبحة دامت سبعة أيام، وحصدت سبعين ألفًا من المسلمين.. «حتى كلّت أيدي الصليبين من الذبح»!! كما يقول المؤرخ النصراني - رجل الدين - «مكسيموس مونروند» في كتابه [تاريخ حرب الصليب] - اجتذبت غوايتهم قطاعات من نصارى القدس «الذين كانوا يسيرون أمام الصليبيين بدلائل الاحترام والوقار، مرتلين معهم أناشيد الخلاص من الأسر»!!

وسرت هذه الغواية إلى قطاعات من النصارى خارج القدس.. ذلك أن «أخبار الانتصارات التي فاز بها الصليبيون، بامتلاكهم هذه البلاد، قد انتشرت بسرعة في الجهات القريبة إليها.. وهكذا شوهد المسيحيون متقاطرين جموعًا غفيرة إلى أورشليم، من أنطاكية، ومن الرها، ومن ترسوس، ومن كيادوكيا، ومن كيلكيا، ومن بين النهرين، ومن سائر أقاليم سوريا.. فالبعض سكنوا في أورشليم وما يحيطها، وغيرهم كانوا يزورون الأراضي المقدسة ويعودون إلى بلادهم، والجميع حاصلون على فرح عام، غير فاترين عن تقدمة الشكر لله والتقريظات لشجاعة الصليبيين وانتصاراتهم كجنود محقين ليسوع المسيح، الذين - أخيرا -

أنقذوا قبر ابن الله مخلص العالم من أيدي غير المؤمنين»[15]!!

* * *

❑ وفي دمشق

ولقد تكررت صفحة الغواية الاستعمارية هذه لقطاعات من الأقليات النصرانية إبان الغزوة التترية لدمشق [٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م] - تلك التي قادها القائد التتري النسطوري «كُتبغا» - وكتب المقريزي [٧٦٦ - ٨٤٥هـ/ ١٣٦٥ - ١٤٤١م]: كيف «استطال النصارى بدمشق على المسلمين، وأحضروا فرمانًا من هولاكو بالاعتناء بأمرهم وإقامة دينهم، فتظاهروا بالخمر في نهار رمضان، ورشوه على ثياب المسلمين في الطرقات، وصبوه على أبواب المساجد. وألزموا أرباب الحوانيت بالقيام إذا مروا بالصليب عليهم، وأهانوا من امتنع من القيام للصليب،وصاروا يمرون في الشوارع إلى كنيسة مريم، ويقفون به، ويخطبون في الثناء على دينهم، وقالوا جهرًا: «ظهر الدين الصحيح دين المسيح». وخربوا مساجد ومآذن كانت بجوار كنائسهم، فقلق المسلمون من ذلك، وشكوا أمرهم لنائب هولاكو - كُتبغا - فأهانهم، وضرب بعضهم وعظَّم قدر قسوس النصارى، ونزل إلى كنائسهم، وأقام شعارهم»[16]!

ثم يحكي المقريزي كيف أدت هذه الغواية والخيانة إلى ردود أفعال قاسية، وذلك بعد انتصار الدولة الإسلامية على التتار في عين جالوت [٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م]، عندما «بادر أهل دمشق إلى دور النصارى فنهبوها

وخربوا ما قدروا على تخريبه»[١٧]!

* * *

❑ وفي مصر

ولقد تكررت هذه الغواية الاستعمارية بالخيانة، لشرائح من أبناء الأقليات إبان الحملة الفرنسية على مصر [١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م].. ونجحت هذه الحملة الاستعمارية في غواية قطاعات من «أراذل القبط» الذين قادهم المعلم «يعقوب حنا» [١١٥٨ - ١٢١٦هـ/ ١٧٤٥ - ١٨٠١م] - الذي يسميه «الجبرتي» [١١٦٧ - ١٢٣٧هـ/ ١٧٥٤ - ١٨٢٢] «يعقوب اللعين»! - فجند فيلقًا قبطيًا، تزيا بزي الجيش الفرنسي، وأصبح جزءًا من الحملة الاستعمارية يشارك في محاربة المصريين وإذلال المسلمين، بل وفي سجن علماء الأزهر الشريف!..

وفي تاريخ الجبرتي إشارات كثيرة لمظاهر هذه الغواية والخيانة، التي استفزت أغلبية الأمة، وأحدثت الآثار السلبية في جسد الوحدة الوطنية.. وفي هذه الإشارات نقرأ - مثلًا -: كيف **«ترفع أسافل النصارى من القبط والشوام والأروام واليهود - [اعتمادًا على المستعمر] - فركبوا الخيول، وتقلدوا السيوف بسبب خدمتهم للفرنسيس، ومشوا بالخيل، وتلفظوا بفاحش القول، واستذلوا المسلمين، مع عدم اعتبارهم للدين، إلى غير ذلك مما لا يحيط به الحساب، ولا يسطر في كتاب. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»**[١٨]!

وكيف احتفلوا بانتصار جيش بونابرت في معركة «غزة» [١٢١٣هـ/ ١٧٩٩م] - إبان سعيه لاحتلال الشام -: «فأظهر النصارى الفرح والسرور، في الأسواق والدور، وأولموا في بيوتهم الولايم، وغيروا الملابس والعمايم، وتجمعوا للهو والخلاعة، وزادوا في الشناعة»[١٩]!

وعندما حل الجنرال «كليبر» [١٧٥٣ - ١٨٠٠م] محل بونابرت في قيادة جيش الاحتلال، عهد إلى المعلم يعقوب حنا - الذي أصبح «جنرالًا» في الجيش الغازي! - «بأن يفعل بالمسلمين ما يشاء!.. فتطاولت النصارى، من القبط ونصارى الشوام، على المسلمين بالسب والضرب، ونالوا منهم أغراضهم، وأظهروا حقدهم، ولم يبقوا للصلح مكانًا؟! وصرحوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين»[٢٠]!!

الأمر الذي ترك جراحا غائرة في مجتمع ذلك التاريخ، وخلف رواسب في الكثير من صفحات التاريخ!.. لذلك، فإن الدراما التاريخية تستطيع أن تستدعي صفحات ذلك التاريخ، لتنفي عموم البلوى - بلوى الغواية والخيانة لسائر أبناء الأقليات - ولتقول للأقليات المعاصرة - من المسلمين وغير المسلمين -: إن الأمن والأمان.. وكذلك الشرف والكرامة، هو في الوحدة الوطنية والقومية والحضارية.. وليس في التعلق بحبال الغواية الاستعمارية، التي لا مكان لصفحاتها سوى في «مزبلة التاريخ»!..

* * *

- ٨ -

معاملة الأسرى

على الرغم مما قننته «اتفاقات جنيف» سنة ١٩٤٩م من قواعد تحكم معاملة أسرى الحروب.. والمدنيين الذين يتحولون إلى ما يشبه الأسرى، في ظل الاحتلال العسكري لبلادهم.. إلا أن هذه القضية قد أثيرت بحدة في السنوات الأخيرة؛ وذلك بسبب المعاملات غير الإنسانية واللا أخلاقية والوحشية التي شاعت في معاملة الأسرى على ساحات الصراعات المعاصرة..

● فالشعب الفلسطيني، قد أصبح أسيرًا لآلة الحرب الصهيونية، وللممارسات العنصرية اليهودية، محرومًا من أدنى حقوق الأسرى!.. فحتى جرحى هذا الشعب المجاهد يتركون لتنزف دماؤهم فيموتون صبرا.. وتمنع سيارات الإسعاف من إنقاذ حياتهم.. بل وتضرب سيارات الإسعاف بالصواريخ الصهيونية، على نحو لا سابقة له حتى في حروب النازيين والفاشيين.. وربما التتار أيضًا!.. ويتم ذلك، في حماية الهيمنة الغربية والأمريكية، التي صاغت دولها اتفاقات جنيف سنة ١٩٤٩م!!..

أفرادا يعملون في خدمة المجهود الحربي لقوات الاحتلال الأمريكي في العراق.. حيث قتلت هذه الجماعات أفرادا من هؤلاء «الأسرى» أو المخطوفين، عندما لم تستجب دولهم أو الشركات التي يعملون بها لمطلب مقاطعة جيوش الاحتلال.. الأمر الذي أثار الكثير من التساؤلات الملحة حول الموقف الإسلامي من معاملة الأسرى.. وذلك على النحو الذي يوشح صفحات التاريخ الإسلامي في معاملة الأسرى، وكذلك صفحات التاريخ الغربي إزاء هذا الموضوع ـ معاملة الأسرى ـ لتكون موضوعًا للمدراما التي تستدعي هذا التاريخ ليجيب عن علامات الاستفهام التي قامت في واقعنا الراهن حول هذا الموضوع ـ «القديم ـ الجديد»..

* * *

وبادئ ذي بدء، فإن القرآن الكريم قد جعل المعاملة الحسنة للأسرى، وإيثارهم بالطعام ـ المحبوب والمطلوب ـ على النفس، صفة من صفات المؤمنين الأبرار، الذين وعدهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ بجنات النعيم المقيم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: ٥ ـ ١٢].

ولقد جاءت هذه الآيات في سورة «الإنسان»، الذي جاهد غرائز الانتقام من الأسرى ـ الذين قتلوا إخوانه وذويه ـ فتسامى فوق غرائز الانتقام هذه، في لحظات القوة والقدرة، وعامل الأسرى، الذين تجردوا من كل قوة، بهذا المستوى من مستويات الإنسانية والإيثار..

ولقد ذكر «الماوردي» [٣٦٤ ـ ٤٥٠هـ/ ٩٧٤ ـ ١٠٥٨م] أن هذه الآيات قد نزلت في الذين عهد إليهم رسول الله ﷺ رعاية الأسرى الذين أُسروا في غزوة بدر [٢هـ/ ٦٢٤م] ـ وكانوا من صناديد الشرك ... وفي قراءة أسماء هؤلاء السبعة الذين عهد إليهم الرسول القائد بهذه المهمة دلالة لا يخطئها العقل.. فهم سبعة من العشرة الذين تكونت منهم أولى الهيئات الدستورية في الدولة الإسلامية ـ هيئة المهاجرين الأولين ـ:

أبو بكر الصديق [٥١ ق. هـ ـ ١٣ هـ/ ٥٧٣ ـ ٦٣٤م]، وعمر بن الخطاب [٤٠ ق. هـ ـ ٢٣ هـ/ ٥٨٤ ـ ٦٤٤م]، وعلي بن أبي طالب [٢٣ ق. هـ ـ ٤٠ هـ/ ٦٠٠ ـ ٦٦١م]، والزبير بن العوام [٢٨ ق. هـ ـ ٣٦ هـ/ ٥٩٦ ـ ٦٥٦م]، وعبدالرحمن بن عوف [٤٤ ق. هـ ـ ٣٢ هـ/ ٥٨٠ ـ ٦٥٢م]، وسعد بن أبي وقاص [٢٣ق. هـ ـ ٥٥ هـ/ ٦٠٠ ـ ٦٧٥م]، وأبو عبيدة بن الجراح [٤٠ ق. هـ ـ ١٨ هـ/ ٥٨٤ ـ ٦٣٩م] ـ رضي الله عنهم أجمعين ..

تلك هي مكانة هذه الأمانة ـ الأسرى... وتلك هي مكانة الأمناء على هذه الأمانة، في أول تطبيق إسلامي للبلاغ القرآني ـ الذي جاءت به سورة

الإنسان - في هذا الميدان..

أما المصير الذي حدده القرآن الكريم للأسرى، فلقد عينته آيات سورة «القتال - محمد»، وهو: إما المنّ بالتحرير والحرية دونما مقابل، وإما الفداء ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ [محمد: ٤ - ٦]..

فهذه المعاملة للأسرى - المن أو الفداء - هي «جهاد أكبر» يدخل المؤمنون ميدانه بعد أن فرغوا من القتال - «الجهاد الأصغر» - .. وذلك عندما لا ينتقمون - بالقتل - من الأسرى - الذين قتلوا من قتلوا من المؤمنين في المعركة .. فالحفاظ على حياتهم، والمن عليهم بالحرية - دون مقابل أو بالفداء - هو جهاد وابتلاء وامتحان من الله لعزائم المؤمنين، ولو شاء سبحانه لانتصر وانتقم هو من هؤلاء الأسرى - الذين قتلوا المؤمنين -.. فليس للمنتصرين أن ينتقموا من الأسرى، وفاء وقصاصًا لشهداء المسلمين الذين قُتلوا بأيديهم، فلهؤلاء الشهداء عند الله من النعيم ما يذهب أية نوازع للانتقام من صدور إخوانهم المنتصرين.. لهم الجزاء الأوفى، والهدى، وصلاح البال، والنعيم المقيم في الجنات - ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ - فلا داعي للانتقام لهم من الأسرى.. وإنما هو المن أو الفداء!..

ولقد كانت السنة النبوية الشريفة هي البيان الرسالي والتطبيق الأمين لهذا البلاغ القرآني.. وإذا كان الرسول ﷺ قد قتل واحدًا أو اثنين من أسرى بدر - كما تقول روايات التاريخ - فإنهما لم يقتلا بحكم الأسر - وإلا لطبق ذلك على كل الأسرى - وإنما قتل من قتل قصاصًا من جرائم قد ارتكباها، وكانا مطلوبين للقصاص فيها حتى قبل القتال والأسر.. فلا مجال للغط الجاهلين والمفترين بأن رسول الله ﷺ قد قتل أسرى يوم بدر.

أما المقاتلون من بني قريظة - عقب غزوة الأحزاب [٥ هـ/ ٦٢٧م] فلم يقتلوا كأسرى، وإنما قتلوا جزاء خيانتهم، ووفق حكم التحكيم الذي اختاروه هم واختاروا حكامه.. فلم يكونوا أسرى معركة قتالية، وإنما كانوا خونة للعهود والمواثيق ساعة الشدة والعسرة يوم غزوة الأحزاب، عندما انحازوا إلى الأعداء..

هذا هو الموقف الإسلامي من الأسرى.. كما حددته الآيات المحكمة في القرآن الكريم.. وكما وضعه رسول الله ﷺ في الممارسة والتطبيق..

ولقد مضى هذا الموقف الإسلامي سُنة متبعة على امتداد تاريخ الإسلام.. فلم يسلك المسلمون سبيل الانتقام من الأسرى، حتى عندما سلك الغزاة الغربيون سبيل القتل لأسرى المسلمين، طوال ذلك التاريخ!..

* * *

● فالصليبيون الذين غزوا القدس [٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م] قد ذبحوا وأحرقوا كل من وقع في أيديهم من المسلمين، حتى الشيوخ والنساء

والأطفال ـ ذبحوا سبعين ألفًا ـ حتى الذين احتموا بمسجد قبة الصخرة ـ مسجد عمر بن الخطاب ـ ذبحوا، وسبحت خيول الصليبيين في دمائهم إلى لُجم الخيل ـ كما نقل ذلك عن شهود العيان رجل الدين النصراني صاحب كتاب [تاريخ الحروب المقدسة في الشرق] ..!!..

ولم يقترف جرم قتل الأسرى والمدنيين غير المحاربين فرسان الإقطاع الصليبيون وحدهم.. بل لقد كان رجال الدين النصارى ـ نعم رجال الدين! ـ في مقدمة الذين اجترحوا هذه الفظائع والسيئات.. ولقد وصف المؤرخ الأوروبي «ميشائيل درسيرا» صنيع «البطريرك نفسه في هذه المذبحة.. عندما كان يعدو في أزقة بيت المقدس، وسيفه يقطر دمًا، حاصدًا به كل من وجده في طريقه، ولم يتوقف حتى بلغ كنيسة القيامة وقبر المسيح، فأخذ في غسل يديه تخلصًا من الدماء اللاصقة بها، مرددًا كلمات المزمور: «يفرح الأبرار حين يرون عقاب الأشرار، ويغسلون أقدامهم بدمهم، فيقول الناس: حقًا إن للصدّيق مكافأة وإن في الأرض إلهًا يقضي» ـ المزمور ٥٨: ١٠ ـ ١١ ـ.

ثم أخذ في أداء القداس،قائلًا: «إنه لم يتقدم في حياته للرب بأي قربان أعظم من ذلك ليرضى به الرب»[٣٦].

هنا، يمكن للدراما التاريخية أن تقدم الفن الذي يعرض لونين من «الأبرار».. أبرار يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، فيطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا.. ويجاهدون نوازع الثأر وغرائز

الانتقام من الأسرى الذين قتلوا إخوانهم، مرجحين ومختارين الطاعة لله، الذي لو شاء لانتصر وانتقم منهم، والذي جعل للشهداء نعيمًا يداوي التذكير به نوازع الثأر ويُذهب بغرائز الانتقام.

وفي المقابل - الغربي - هناك «أبرار» يفرحون عندما يغتسلون بدماء الأسرى.. زاعمين أن هذا هو القضاء الإلهي، مكافأة للصديقين.. والقربان الأعظم الذي يتقربون به إلى الله!!..

فالرب هنا هو رب الجنود، المتعطش للدماء.. الذي جعل - بزعمهم - سفك دماء الأسرى أعظم القربات الجالبة لرضاه!

● وفي مقابل هذه الصفحة - الغربية - من صفحات التعامل مع الأسرى، يمكن للدراما التاريخية أن تعرض صنيع صلاح الدين الأيوبي [٥٦٤ - ٥٨٩هـ/ ١١٦٩ - ١١٩٣م] مع الأسرى، إبان حروب التحرير للمدن والبقاع التي صنع الصليبيون هذا الذي صنعوه مع أسراها المسلمين.. وهي صفحة مليئة بالوقائع المضيئة، والقصص الإنسانية، والأخلاقيات السامية للفروسية الإسلامية، التي شهد بها الغربيون قبل المسلمين!

● وصفحة أخرى من صفحات تاريخ التعامل مع الأسرى.. سطرتها وقائع الغزوة الصليبية لميناء «دمياط» - بشمالي مصر -.. فعندما دخل الصليبيون مدينة دمياط - [في ٦ ذي القعدة سنة ٦١٥هـ/ يناير سنة ١٢١٩م] - ماذا صنعوا بالأسرى والمستضعفين من المدنيين غير المحاربين؟..

تقول الشهادات الغربية: «إنهم أبادوا جميع من بها، بناء على أوامر البابا ومبعوثيه الكرادلة ورجال الكنيسة»!

● وفي مقابل هذا الموقف.. ماذا كان صنيع المسلمين، بقيادة السلطان الأيوبي «الملك الكامل» [٥٧٦ - ٦٣٥هـ/ ١١٨٠ - ١٢٣٨م] في معركة تحرير «دمياط» [٦١٨هـ - ١٢٢١م]؟.. أي ماذا صنع المسلمون مع الأسرى الصليبيين، الذين سبق وأبادوا جميع الأسرى المسلمين؟..

مرة أخرى، تشهد المصادر الغربية على «أن الملك الكامل عندما انتصر على هذه الحملة الصليبية، أكرم أسراهم، ولم يقتص منهم: العين بالعين والسن بالسن، وإنما أطعمهم في مسغبة أربعة أيام طوالا، مرسلا إلى جيشهم المتضور جوعًا كل يوم ثلاثين ألف رغيف، ومواد غذائية أخرى».

ولقد شهد بهذا الإكرام أحد هؤلاء الأسرى - عالم الفلسفة اللاهوتية القسيس «أوليفروس» - من كولونيا.. على نهر الراين، بألمانيا - فكتب رسالة إلى الملك الكامل، قال فيها:

«منذ تقادم العهود، لم يسمع المرء بمثل هذا الترفق والجود، خاصة مع أسرى العدو اللدود. ولما شاء الله أن نكون أسراك، لم نعرفك مستبدًا طاغية، ولا سيدًا داهية، وإنما عرفناك أبا رحيما، شملنا بالإحسان والطيبات، وعونًا منقذًا في كل النوائب والملمات. ومن ذا الذي يمكن أن يشك لحظة في أن مثل هذا الجود والتسامح والرحمة من عند الله؟..

إن الرجال الذين قتلنا آباءهم، وأبناءهم، وبناتهم، وإخوانهم، وأخواتهم، وأذقناهم مر العذاب، لما غدونا أسراهم، وكدنا نموت جوعًا، راحوا يؤثروننا على أنفسهم على ما بهم من خصاصة، وأسدوا إلينا كل ما استطاعوا من إحسان، بينما كنا نحن تحت رحمتهم لا حول لنا ولا سلطان»[٢٢].

لقد كتب القسيس والفيلسوف اللاهوتي الألماني «أوليفروس» هذا الذي كتبه، ليس كمجرد شاهد عيان، وإنما عن تجربة شارك بها في قتل المسلمين الأسرى، ثم إذا هو ـ عندما وقع أسيرًا مع جيشه الصليبي ـ يجد المسلمين الذين قُتل أهلهم أسرى ـ يؤثرونه وزملاءه على أنفسهم ـ مع الخصاصة ـ!.. كتب هذا الرجل ذلك، دون أن يدري أن هؤلاء المسلمين إنما كانوا يقيمون الدين الإسلامي، ويجسدون الوحي القرآني الذي نزل به الروح الأمين على قلب الصادق الأمين ـ عليه الصلاة والسلام ـ في معاملة الأسرى.. فهو دين.. وهي سماحة الإسلام.. وليست مجرد أريحية لحاكم من الحكام، أو شعب من الشعوب.. ولعل عبارة هذا «القسيس ـ الأسير» قد أشارت إلى هذه الحقيقة عندما قال ـ عن هذه المعاملة الإسلامية للأسرى ـ: «ومن ذا الذي يمكن أن يشك لحظة في أن مثل هذا الجود والتسامح والرحمة من عند الله؟!».

* * *

● وإذا كان الغرب الذي أدهشته السماحة الإسلامية عند صلاح الدين الأيوبي، والملك الكامل، قد حاول بعض كتابه أن يقدموا الملك الإنجليزي الصليبي «ريتشارد قلب الأسد» [١١٨٩ - ١١٩٩م] في صورة تشبه صورة صلاح الدين، فإن قضية معاملة الأسرى ـ بشهادة الغربيين أنفسهم ـ قد فضحت هذه المحاولات.. وكما تقول المستشرقة الألمانية «سيجريد هونكة»:

«ففي حين تمكن صلاح الدين الأيوبي من استرداد بيت المقدس [٥٨٣هـ/ ١١٨٧م] التي كان الصليبيون قد انتزعوها من قبل [٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م] بعد أن سفكوا دماء أهلها في مذبحة لا تدانيها مذبحة وحشية وقسوة، فإن صلاح الدين لم يسفك دم سكانها من النصارى انتقاما لسفك دم المسلمين، بل إنه شملهم بمروءته، وأسبغ عليهم من جوده ورحمته، ضاربا المثل في التخلق بروح الفروسية العالية».

ثم تمضي هذه الشهادة الغربية، لتقارن ذلك بما صنعه الملك «ريتشارد قلب الأسد» من الإبادة لأسرى المسلمين، بعد أن قطع لهم عهد الأمان!!.. فتقول:

«وعلى العكس من المسلمين، لم تعرف الفروسية النصرانية أي التزام خلقي تجاه كلمة الشرف أو الأسرى.. فالملك ريتشارد قلب الأسد، الذي أقسم بشرفه لثلاثة آلاف أسير عربي أن حياتهم آمنة، إذ

هو فجأة متقلب المزاج، فيأمر بذبحهم جميعًا»[٢٣]!!

● وتستمر صفحات تاريخ هذا الصراع، في تقديم الوقائع والمواقف والدروس والعبر والعظات للدراما التاريخية - في هذا الميدان: التعامل مع الأسرى بين الشرق الإسلامي والغرب الاستعماري - فنجد موقف الحملة الفرنسية، التي قادها «بونابرت» [١٧٦٩ - ١٨٢١م] والتي جاءت إلى بلادنا رافعة أعلام الثورة الفرنسية، وشعارات «الحرية» و«الإخاء»، و«المساواة»، و«فلسفة الأنوار».. نجد موقفها من الأسرى متجسدًا في صنيع بونابرت [١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م] مع أهل مدينة «يافا» - في فلسطين - ومع آلاف الجنود الذين وقعوا في الأسر، والذين استسلموا بعد أخذهم الأمان على حياتهم..

إن الدراما التاريخية مدعوة لاستدعاء هذه الصفحة من صفحات التعامل الفرنسي مع الأسرى المسلمين، والتي صنعها «بونابرت» سنة ١٧٩٩م - أي في الذكرى السبعمائة لصنيع الصليبيين الأول بمدينة القدس وأسراها -!

ولقد سجل المؤرخون الفرنسيون هذه الصفحة، ونقلها عنهم المؤرخ الوطني عبدالرحمن الرافعي [١٣٠٦ - ١٣٨٦ هـ/ ١٨٨٩ - ١٩٦٦م] فقال: «لقد وصل نابوليون بجيشه تجاه يافا يوم ٣ مارس ١٧٩٩م، وكان الجيش العثماني، بقيادة عبدالله باشا الجزار [١١٣٢ - ١٢١٩ هـ/ ١٧٢٠ - ١٨٠٤م] ممتنعا بها، فحاصرها نابوليون بجنوده، واستولى عليها يوم ٧ مارس، بعد معركة شديدة قتل فيها من الجنود العثمانية نحو

٢٠٠٠ قتيل، ودخل الفرنسيون المدينة، وأعملوا فيها السيف والنار.

لقد نهب الجنود الفرنسية يافا، وارتكبوا فيها من الفظائع ما تقشعر منه الأبدان - باعتراف المؤرخين الفرنسيين - واستمر النهب والقتل يومين متواليين، واضطر الجنرال «روبان - robin» - الذي عينه نابليون قائدًا للمدينة - أن يقتل بعض الجنود لإعادة النظام، فذهب جهده عبثًا. ولم ينقطع النهب إلا بعد أن كلّ الجنود من الاعتداء وسفك الدماء.

ويقول بعض المؤرخين: إن الدماء التي سفكت في يافا، وأشلاء الجثث التي تركت بها عدة أيام، كانت من أسباب انتشار الوباء بين العسكر، وهو الوباء الذي كان من العوامل الرئيسية لإخفاق الحملة الفرنسية على سورية»[٢٤].

فنفس الذي حدث بالقدس - سنة ١٠٩٩م - حدث في يافا - سنة ١٧٩٩م -.. عندما استمرت المجزرة والإبادة للأبرياء والأسرى حتى «كَلَّت أيدي القتلة» من القتل والذبح وسفك الدماء!.. وهذا التعبير: «كَلَّت الأيدي من القتل» نجده - بالحرف - في وصف مجزرة القدس سنة ١٠٩٩م بكتاب [تاريخ الحروب المقدسة في الشرق المدعوة حرب الصليب] - المجلد الأول ص ١٧٤ -.. كما نجده - بالحرف - في وصف المذبحة الفرنسية في يافا سنة ١٧٩٩م!!..

كما نجد ما صنعه الملك الإنجليزي «ريتشارد قلب الأسد» مع آلاف الأسرى المسلمين، الذين ذبحهم بعد أن أعطى لهم الأمان!.. يعيد صنعه

القائد الفرنسي «بونابرت» عقب استيلائه على يافا سنة ١٧٩٩م، مع ثلاثة آلاف من أسرى الجيش العثماني، الذين أمّنهم على حياتهم، ثم غدر بهم وذبحهم، في مجزرة وصفها المؤرخون الفرنسيون، ونقل وصفها عنهم المؤرخ عبدالرحمن الرافعي، فقال:

«ولم يكد ينقطع النهب لمدينة يافا، حتى أعقبته مأساة أخرى أشد هولا وفظاعة، ذلك أنه بعد انتهاء المعركة ودخول الفرنسيين المدينة، كان بها من الجنود العثمانية نحو ثلاثة آلاف مقاتل، آثروا التسليم وإلقاء السلاح في يد الفرنسيين بشروط اتفقوا عليها مع اثنين من ياوران نابليون، وهما «بورهارنيه - Beauharnais» و«كروازييه - Croisier». ومن هذه الشروط: أن تضمن لهم أرواحهم بعد التسليم، وتعهد الياوران بذلك باسم القائد العام - [بونابرت] - وتلقاهم الفرنسيون كأسرى حرب، ولكن نابليون، بعد أن فكر طويلًا في أسرهم، وتردد في شأنهم، أمر بإعدامهم جميعًا رميًا بالرصاص. وحجته في ذلك أنه كان عاجزًا عن إطعامهم وحراستهم في بلاد نائية لم يستتب له فيها الأمر!!.. فسيق أولئك الأسرى إلى شاطئ البحر وأعدموا جميعًا رميًا بالرصاص»!!

ولقد نقل الرافعي عن المؤرخ «ريبو» - صاحب كتاب [التاريخ العلمي والحربي للحملة الفرنسية] - تأثير هذه المجزرة وعواقبها، الذي قال فيه: «إن ثلاثة آلاف من الأعداء قتلوا مرة واحدة. ولكن الجنود الباقين قد زاد عددهم، وتضاعفت جهودهم للأخذ بالثأر، ورأوا في مصير إخوانهم

الذين ذبحهم الفرنسيون نموذجًا للإنسانية الفرنسية. فأصبح القتال بينهم وبين الجيش الفرنسي صراعًا إلى الموت. وحصد نابوليون تحت أسوار عكا ما غرسه على شاطئ يافا»[٢٥]!!

* * *

تلك نماذج شاهدة - وهي مجرد نماذج - لصفحات من التاريخ، مليئة بالوقائع والدروس والعبر والعظات والدلالات والإيحاءات:

١ - صفحة التحالفات غير المقدسة ضد الإسلام والمسلمين.. التي نواجهها اليوم .. كما واجهها أسلافنا منذ فجر تاريخ الإسلام.. وعبر هذا التاريخ..

٢ - وصفحة الكيانات الاستيطانية الاستعمارية المغروسة قسرًا في قلب وطن الأمة.. تلك التي نواجهها اليوم على أرض فلسطين.. والتي واجهها أسلافنا - على ذات الأرض - في تاريخنا الإسلامي الوسيط..

٣ - وصفحة الغواية الاستعمارية للأقليات في بلاد الإسلام.. تلك التي نواجهها اليوم... والتي واجهناها منذ الحروب الصليبية، وحتى الغزوة الاستعمارية الحديثة لبلادنا..

٤ - وصفحة التعامل مع الأسرى.. وكيف تعامل معها الإسلام وأمته وحضارته.. وكيف وقف منها الغرب - موقف الغدر والخيانة والإبادة - على امتداد تاريخ صراعه مع الإسلام؟

* * *

وإذا كانت هذه الصفحات ـ من التاريخ ـ هي مجرد نماذج وإشارات.. فإن هناك صفحات:

● التاريخ الإسلامي في الانفتاح على الحضارات غير الإسلامية.. وسير وجهود العلماء الذين أبدعوا في مختلف ميادين العلم المدني منذ فجر ظهور الإسلام..

● والتاريخ الإسلامي في ميادين التربية وتهذيب القلوب..

● والتاريخ الإسلامي للمجاهدين الذين فضلوا الرباط على ثغور الإسلام على العكوف في المحاريب..

● والتاريخ الإسلامي لتحرير المرأة.. والذي صنع ـ في مدرسة النبوة ـ قيادات وريادات نسائية، شاركت في إقامة الدين وبناء الدولة وصناعة الحضارة.. واستمرت تعطي وتعلم وتبدع ـ عبر تاريخنا الحضاري ـ رغم ما أصاب حضارتنا من تراجع وهبوط وجمود..

● والتاريخ الإسلامي مع الخوارج، الذين مثلوا نزيفا للدولة الإسلامية والمجتمعات الإسلامية.. دون أن يحققوا أكثر من هذا النزيف!..

● والتاريخ الإسلامي لمؤسسات الوقف، التي مولت ـ أهليا ـ صناعة الحضارة الإسلامية، وإقامة العدل الاجتماعي على مر هذا التاريخ.

وغيرها.. الكثير.. والكثير من صفحات التاريخ.

إنها صفحات، يمكن للدراما التاريخية أن تقدمها من خلال وسائل

الإعلام المعاصر؛ لتثقيف الأمة بالقيم الإسلامية، المقارنة بالسلوكيات الغربية.. ولتصحيح المفاهيم الإسلامية المعاصرة، بحقائق الإسلام وتاريخ أمته.. ولترد كيد المفترين على الإسلام وأمته وحضارته وتاريخه، بسلاح الفن، الذي تفوّق في التأثير على الكتاب المقروء.. وبالدراما، التي يتحلق حول أفلامها وتمثيلياتها عشرات الملايين، الذين لم تلمس أصابعهم صفحات كتاب في يوم من الأيام.

* * *

وبقدر ما يكون الإحسان في اختيار المادة التاريخية الأكثر صدقاً في التعبير عن المقاصد المبتغاة.. وبقدر ما يكون الصدق والإخلاص في الوعي بالتاريخ.. وفي الوعي بتحديات واقعنا المعيش.. وبقدر ما يكون الأداء الفني الأقدر على توصيل الرسالة للمشاهدين.. وبقدر ما تكون القيم الإسلامية حاضرة وحاكمة في الصياغة الفنية للمادة التاريخية.. وفي الإخراج والتمثيل، بقدر ما يكون رجحان المصالح على المفاسد، والإيجابيات على السلبيات.. واقتراب «الواقع ـ الممكن» من «المثال ـ الملهم»، في هذا الميدان الذي تتمنى أن يستبق فيه المتسابقون على طريق تحقيق الخير للإسلام والمسلمين.

* * *



الهوامش

(١) الطهطاوي [الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي] ج٢ ص١١٩ - ١٢١. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م.

- ونلاحظ - من دهشة الطهطاوي لما يقدمه اللاعبون على المسرح من معارف وأشعار - ظنه أن ذلك من إبداعهم - بينما هي «أدوار» محفوظة - كما يعرف الجميع -!..

(٢) على مبارك [الأعمال الكاملة لعلي مبارك] ج١ ص٥٩٩ - ٦٢٥ - المسامرة السابعة والعشرون (التياتر) - دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٧٩م. وج٢ ص٢٠٨ - ٢١٠ - المسامرة الثانية والثمانون (البالو) - طبعة بيروت سنة ١٩٨٠م.

(٣) المصدر السابق. ج١ المسامرة السابعة والعشرون (التياتر).

(٤) عبدالرحمن الرافعي [الثورة العرابية] ص٤٧٥ طبعة القاهرة سنة ١٣٨٥هـ سنة ١٩٦٦م.

(٥) عبدالرحمن الرافعي [مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية] ص٣٩. طبعة القاهرة سنة ١٣٨١هـ سنة ١٩٦٢م.

(٦) د. محمد عمارة [معارك العرب ضد الغزاة] ص٢٠٢ - ٢٠٤ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٨م.

(٧) المرجع السابق. ص٤٣، ٧٤، ٧٥.

(٨) يوحنا النقيوسي [تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي: رؤية قبطية للفتح الإسلامي] ص٢٠١، ٢٠٢. ترجمة ودراسة د. عمر صابر عبدالجليل. طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

(٩) المصدر السابق. ص ٢٢٠.

(١٠) د. صبري أبوالخير سليم [تاريخ مصر في العصر البيزنطي] ص٦٢. طبعة القاهرة سنة ٢٠٠١م.

(١١) جورج قرم [تعدد الأديان ونظم الحكم] ص٢١١ - ٢٢٤. طبعة بيروت سنة ١٩٧٩م. - والنقل عن: د. سعد الدين إبراهيم [الملل والنحل والأعراق] ص٧٢٩، ٧٣٠. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠م.

(١٢) مذكرات موشي شاريت - في يوم ١٨ مارس سنة ١٩٥٤م - والنقل عن: محمد السماك [الأقليات بين العروبة والإسلام] ص١٤٢، ١٤٣ طبعة بيروت سنة ١٩٩٠م.

(١٣) موشي فرجي [إسرائيل وحركة تحرير جنوب السودان] طبعة مركز ديان لأبحاث الشرق الأوسط وأفريقيا - التابع لجامعة تل أبيب - والنقل عن: د. عثمان أبو زيد: صحيفة (العالم الإسلامي) - مكة - عدد ١٢٥٢ في ٨/ ٤/ ٢٠٠٤م.

(١٤) [ندوة الموقف الإسرائيلي من الجماعات الإثنية والطائفية في العالم الإسلامي] ص ٦ - ١٠، ٢٧ طبعة القاهرة - الدار العربية للدراسات والنشر - سنة ١٩٩٢م.

(١٥) مكسيموس مونروند [تاريخ الحروب المقدسة في الشرق المدعوة حرب الصليب] المجلد الأول ص ١٧٣، ١٨٠، ١٨١ ترجمة: مكسيموس مظلوم. طبعة أورشليم سنة ١٨٦٥م.

(١٦) المقريزي [كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك] ج١ ق٢ ص٤٢٢، ٤٣٢ تحقيق: د. محمد مصطفى زيادة. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م.

(١٧) المصدر السابق. ج١ ق٢ ص٤٣٢.

(١٨) الجبرتي [مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس] ص١١٢. تحقيق: حسن محمد جوهر، عمر الدسوقي. طبعة القاهرة سنة ١٣٨٩هـ سنة ١٩٦٩م.

(١٩) المصدر السابق. ص١١٧.

(٢٠) الجبرتي [عجائب الآثار في التراجم والأخبار] ج٥ ص١٣٤، ١٣٦. تحقيق: حسن محمد جوهر، عمر الدسوقي، السيد إبراهيم سالم. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥م.

(٢١) سيجريد هونكة [الله ليس كذلك] ص٢٢. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٥م.

(٢٢) المرجع السابق. ص ٣٣، ٣٤.

(٢٣) المرجع السابق. ص ٣٤.

(٢٤) عبدالرحمن الرافعي [تاريخ الحركة القومية] ج٢ ص٢٩. طبعة القاهرة سنة ١٣٧٨هـ سنة ١٩٥٨م.

(٢٥) المصدر السابق. ج٢ ص٣٠.

* * *

المراجع

❑ الجبرتي:

- «مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس»، تحقيق: حسن محمد جوهر، عمر الدسوقي طبعة القاهرة سنة ١٣٨٩هـ سنة ١٩٦٩م.

- «عجائب الآثار في التراجم والأخبار»، تحقيق: حسن محمد جوهر، عمر الدسوقي، السيد إبراهيم سالم. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥م.

❑ د. جورج قرم:

- «تعدد الأديان ونظم الحكم»، طبعة بيروت سنة ١٩٧٩م.

❑ د. سعد الدين إبراهيم:

- «الملل والنحل والأعراق»، طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠م.

❑ د. سيجريد هونكة:

- «الله ليس كذلك»، ترجمة: د. غريب محمد غريب. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٥م.

❑ د. صبري أبو الخير سليم:

- «تاريخ مصر في العصر البيزنطي»، طبعة القاهرة سنة ٢٠٠١م.

❑ الطهطاوي:

- «الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي»، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م.

❑ عبدالرحمن الرافعي:

- «الثورة العرابية»، طبعة القاهرة سنة ١٣٨٥هـ سنة ١٩٦٦م.

- «مصطفى كامل: باعث الحركة الوطنية»، طبعة القاهرة سنة ١٣٨١هـ سنة ١٩٦٢م.

- «تاريخ الحركة الوطنية»، طبعة القاهرة سنة ١٣٧٨هـ سنة ١٩٥٨م.

❑ علي مبارك:

- «الأعمال الكاملة لعلي مبارك»، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٧٩م، سنة ١٩٨٠م.

❑ محمد السماك:

- «الأقليات بين العروبة والإسلام»، طبعة بيروت سنة ١٩٩٠م.

❑ د. محمد عمارة:

- «معارك العرب ضد الغزاة»، طبعة القاهرة سنة ١٩٩٨م.

❑ المقريزي:

- «كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك»، تحقيق: د. محمد مصطفى زيادة. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م.

❑ مكسيموس مونروند:

- «تاريخ الحروب المقدسة في الشرق: المدعوة حرب الصليب»، ترجمة: مكسيموس مظلوم. طبعة أورشليم سنة ١٨٦٥م.

❑ موشي فرجي:

- «إسرائيل وحركة تحرير جنوب السودان»، طبعة مركز ديان لأبحاث الشرق الأوسط وأفريقيا ـ جامعة تل أبيب.

❑ ندوة:

- «ندوة الموقف الإسرائيلي من الجماعات الإثنية والطائفية في العالم الإسلامي»، طبعة الدار العربية للدراسات والنشر ـ القاهرة سنة ١٩٩٢م.

❑ يوحنا النقيوسي:

- «تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي: رؤية قبطية للفتح الإسلامي»، ترجمة ودراسة: د. عمر صابر عبدالجليل. طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

* * *

❑ الدكتور محمد عمارة

❑ ١ـ سيرة ذاتية.. في نقاط:

- مفكر إسلامي .. ومؤلف .. ومحقق .. وعضو «مجمع البحوث الإسلامية» ـ بالأزهر الشريف.

- ولد بريف مصر ـ ببلدة «صروة»، مركز «قلين»، محافظة «كفر الشيخ». في ٢٧ من رجب سنة ١٣٥٠هـ ـ ٨ من ديسمبر سنة ١٩٣١م ـ في أسرة ميسورة الحال ـ ماديًا ـ تحترف الزراعة .. وملتزمة دينيًا ..

- قبل مولده، كان والده قد نذر لله: إذا جاء المولود ذكرًا، أن يسميه محمدًا، وأن يهبه للعلم الديني ـ أي يطلب العلم في الأزهر الشريف.

- حفظ القرآن وجوّده بـ «كُتّاب» القرية .. مع تلقي العلوم المدنية الأولية بمدرسة القرية ـ مرحلة التعليم الإلزامي ..

- في سنة ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م التحق «بمعهد دسوق الديني الابتدائي» ـ التابع للجامع الأزهر الشريف ـ .. ومنه حصل على شهادة الابتدائية سنة ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م.

- وفي المرحلة الابتدائية ـ النصف الثاني من أربعينيات القرن العشرين ـ بدأت تتفتح وتنمو اهتماماته الوطنية والعربية والإسلامية، والأدبية

والثقافية .. فشارك في العمل الوطني - قضية استقلال مصر .. والقضية الفلسطينية - بالخطابة في المساجد .. والكتابة - نثرًا وشعرًا - وكان أول مقال نشرته له صحيفة «مصر الفتاة»، - بعنوان «جهاد» - عن فلسطين - في أبريل سنة ١٩٤٨م ... وتطوع للتدريب على حمل السلاح ضمن حركة مناصرة القضية الفلسطينية.. لكن لم يكن له شرف الذهاب إلى فلسطين.

- في سنة ١٩٤٩م، التحق «بمعهد طنطا الأحمدي الديني الثانوي» - التابع للجامع الأزهر الشريف ... ومنه حصل على الثانوية الأزهرية سنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

- وواصل - في مرحلة الدراسة الثانوية - اهتماماته السياسية والأدبية والثقافية.. ونشر شعرًا ونثرًا في صحف ومجلات «مصر الفتاة» و«منبر الشرق»، و«المصري»؛ و«الكاتب».. وتطوع للتدريب على السلاح بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦م في سنة ١٩٥١م.

- في سنة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م التحق «بكلية دار العلوم» - جامعة القاهرة.. وفيها تخرج، ونال درجة «الليسانس» في اللغة العربية والعلوم الإسلامية - ولقد تأخر تخرجه - بسبب نشاطه السياسي - إلى سنة ١٩٦٥م بدلًا من سنة ١٩٥٨م..

- وتواصل - في مرحلة الدراسة الجامعية - نشاطه الوطني والأدبي والثقافي.. فشارك في «المقاومة الشعبية»، بمنطقة قناة السويس، إبان مقاومة الغزو الثلاثي لمصر سنة ١٣٧٥هـ ١٩٥٦م..

- ونشر المقالات في صحيفة «المساء» - المصرية - ومجلة «الآداب» - البيروتية ... وألف ونشر أول كتبه عن «القومية العربية» سنة ١٩٥٨م.

- بعد التخرج في الجامعة، أعطى كل وقته - تقريبًا - وجميع جهده لمشروعه الفكري، فجمع وحقق ودرس الأعمال الكاملة لأبرز أعلام اليقظة الإسلامية الحديثة: رفاعة رافع الطهطاوي .. وجمال الدين الأفغاني .. ومحمد عبده .. وعبدالرحمن الكواكبي .. وعلي مبارك .. وقاسم أمين .. وكتب الكتب والدراسات عن أعلام التجديد الإسلامي .. مثل: الدكتور عبدالرزاق السنهوري باشا .. والشيخ محمد الغزالي .. وعمر مكرم .. ومصطفى كامل .. وخير الدين التونسي .. ورشيد رضا .. وعبدالحميد بن باديس .. ومحمد الخضر حسين .. وأبي الأعلى المودودي .. وحسن البنا .. وسيد قطب .. والشيخ محمود شلتوت .. إلخ.

- ومن أعلام الصحابة الذين كتب عنهم: عمر بن الخطاب .. وعلي بن أبي طالب .. وأبو ذر الغفاري .. وأسماء بنت أبي بكر .. كما كتب عن تيارات الفكر الإسلامي - القديمة والحديثة - وعن أعلام التراث الإسلامي، مثل: غيلان الدمشقي .. والحسن البصري .. وعمرو بن عبيد .. والنفس الزكية، محمد بن الحسن .. وعلي بن محمد .. والماوردي .. وابن رشد (الحفيد) .. والعز بن عبدالسلام.. إلخ..

- وتناولت كتبه - التي تجاوزت المائة والخمسين - السمات المميزة

للحضارة الإسلامية .. والمشروع الحضاري الإسلامي .. والمواجهة مع الحضارات الغازية والمعادية .. وتيارات العلمنة والتغريب .. وصفحات العدل الاجتماعي الإسلامي .. والعقلانية الإسلامية.

- وحاور وناظر العديد من أصحاب المشاريع الفكرية الوافدة ..
- وحقق عددًا من نصوص التراث الإسلامي - القديم منه والحديث ...
- وكجزء من عمله العلمي ومشروعه الفكري، حصل - من كلية دار العلوم - في العلوم الإسلامية - تخصص الفلسفة الإسلامية - على الماجستير سنة ١٣٩٠هـ/ سنة ١٩٧٠م، بأطروحة عن «المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية»... وعلى الدكتوراه سنة ١٣٩٥هـ/ سنة ١٩٧٥م، بأطروحة عن «الإسلام وفلسفة الحكم»..
- أسهم في تحرير العديد من الدوريات الفكرية المتخصصة .. وشارك في العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية في وطن العروبة وعالم الإسلام وخارجهما .. كما أسهم في تحرير العديد من الموسوعات السياسية والحضارية والعامة، مثل: «موسوعة السياسة»، و«موسوعة الحضارة العربية»، و«موسوعة الشروق»، و«موسوعة المفاهيم الإسلامية»، و«الموسوعة الإسلامية العامة»، و«موسوعة الأعلام» ... إلخ.
- نال عضوية عدد من المؤسسات العلمية والفكرية والبحثية، منها: «المجلس الأعلى - للشئون الإسلامية» - بمصر -، و«المعهد العالمي للفكر الإسلامي» - بواشنطن -، و«مركز الدراسات الحضارية» - بمصر -،

و«المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية» ـ مؤسسة آل البيت ـ بالأردن ... و«مجمع البحوث الإسلامية» بالأزهر الشريف..

- حصل على عدد من الجوائز والأوسمة .. والشهادات التقديرية .. والدروع .. منها: «جائزة جمعية أصدقاء الكتاب» ـ بلبنان ـ سنة ١٩٧٢م .. وجائزة الدولة التشجيعية ـ بمصر ـ سنة ١٩٧٦م .. ووسام العلوم والفنون .. من الطبقة الأولى ـ بمصر ـ سنة ١٩٧٦م .. وجائزة علي وعثمان حافظ ـ لمفكر العام ـ سنة ١٩٩٣م ... وجائزة المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ـ سنة ١٩٩٧م ... ووسام التيار القومي الإسلامي ـ القائد المؤسس ـ سنة ١٩٩٨م..
- جاوزت أعماله الفكرية ـ تأليفًا وتحقيقًا ـ مائة وخمسين كتابًا، وذلك غير ما نشر له في الصحف والمجلات ..
- ترجم العديد من كتبه إلى العديد من اللغات الشرقية والغربية .. مثل: التركية، والمالاوية، والفارسية، والأوردية، والإنجليزية، والفرنسية، والروسية، والإسبانية، والألمانية، والألبانية. .
- الاسم ـ رباعيًا ـ: محمد عمارة مصطفى عمارة . .
- العنوان: جمهورية مصر العربية ـ ١٣ ب شارع كورنيش النيل. أغاخان. القاهرة ـ هاتف ٢٠٥٥٦٦١ ـ فاكس ٢٠٥٥٦٦٢.

* * *

❏ ٢ - ثبت بأعماله الفكرية:

أ - تأليف:

١ - معالم المنهج الإسلامي - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧م.

٢ - الإسلام والمستقبل - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧م.

٣ - نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧م.

٤ - معارك العرب ضد الغزاة - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٨م.

٥ - الغارة الجديدة على الإسلام - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٨م.

٦ - جمال الدين الأفغاني بين حقائق التاريخ وأكاذيب لويس عوض - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧م.

٧ - الشيخ محمد الغزالي: الموقع الفكري والمعارك الفكرية - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٨م.

٨ - الوعي بالتاريخ وصناعة التاريخ - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧م.

٩ - التراث والمستقبل - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧م.

١٠ - الإسلام والتعددية: التنوع والاختلاف في إطار الوحدة - دار الرشاد - القاهرة سنة ١٩٩٧م.

١١ ـ الإبداع الفكري والخصوصية الحضارية ـ دار الرشاد ـ القاهرة سنة ١٩٩٧م.

١٢ ـ الدكتور عبدالرزاق السنهوري باشا: إسلامية الدولة والمدنية والقانون ـ دار الرشاد ـ القاهرة سنة ١٩٩٩م.

١٣ ـ الإسلام والسياسة: الرد على شبهات العلمانيين ـ دار الرشاد ـ القاهرة سنة ١٩٩٧م. وطبعة مركز الراية ـ جدة ـ سنة ٢٠٠٤م.

١٤ ـ الإسلام وفلسفة الحكم ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٨.

١٥ ـ معركة الإسلام وأصول الحكم ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٧م.

١٦ ـ الإسلام والفنون الجميلة ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩١م.

١٧ ـ الإسلام وحقوق الإنسان ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٩م. وطبعة مركز الراية ـ جدة ـ سنة ٢٠٠٤م.

١٨ ـ الإسلام والثورة ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م.

١٩ ـ الإسلام والعروبة ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م.

٢٠ ـ الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م.

٢١ ـ هل الإسلام هو الحل؟ لماذا؟ وكيف؟ ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٨م.

٢٢ ـ سقوط الغلو العلماني ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٢م.

٢٣ ـ الغزو الفكري وهم أم حقيقة؟ ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٧م.
٢٤ ـ الطريق إلى اليقظة الإسلامية ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٠م.
٢٥ ـ تيارات الفكر الإسلامي ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٧م.
٢٦ ـ الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٧م.
٢٧ ـ المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م.
٢٨ ـ عندما أصبحت مصر عربية إسلامية ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٧م.
٢٩ ـ العرب والتحدي ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩١م.
٣٠ ـ مسلمون ثوار ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م.
٣١ ـ التفسير الماركسي للإسلام ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٢م.
٣٢ ـ الإسلام بين التنوير والتزوير ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٢م.
٣٣ ـ التيار القومي الإسلامي ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٦م.
٣٤ ـ الإسلام والأمن الاجتماعي ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٨.
٣٥ ـ الأصولية بين الغرب والإسلام ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٨.
٣٦ ـ الجامعة الإسلامية والفكرة القومية ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٤م.

٣٧ ـ قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩٣م.
٣٨ ـ عمر بن عبدالعزيز ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م.
٣٩ ـ جمال الدين الأفغاني: موقظ الشرق ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م.
٤٠ ـ محمد عبده: تجديد الدنيا بتجديد الدين ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م.
٤١ ـ عبدالرحمن الكواكبي ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م.
٤٢ ـ أبو الأعلى المودودي ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٧م.
٤٣ ـ رفاعة الطهطاوي ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م.
٤٤ ـ علي مبارك ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م.
٤٥ ـ قاسم أمين ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٨٨م.
٤٦ ـ التحرير الإسلامي للمرأة ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٢م.
٤٧ ـ الإسلام في عيون غربية ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٤م.
٤٨ ـ الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٢م.
٤٩ ـ في فقه الصراع على القدس وفلسطين ـ دار الشروق ـ سنة ٢٠٠٤م.
٥٠ ـ معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام ـ نهضة مصر ـ القاهرة ـ سنة ١٩٩٧م.

٥١ ـ الإسلام وتحديات العصر ـ نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٤م.
٥٢ ـ القدس الشريف رمز الصراع وبوابة الانتصار ـ نهضة مصر ـ القاهرة ـ سنة ١٩٩٧م.
٥٣ ـ هذا إسلامنا: خلاصات الأفكار ـ دار الوفاء ـ سنة ٢٠٠٠م.
٥٤ ـ الصحوة الإسلامية في عيون غربية ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٧م.
٥٥ ـ الغرب والإسلام ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٧م.
٥٦ ـ أبو حيان التوحيدي ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٧م.
٥٧ ـ ابن رشد بين الغرب والإسلام ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٧م.
٥٨ ـ الانتماء الثقافي ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٧م.
٥٩ ـ التعددية: الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٧م.
٦٠ ـ صراع القيم بين الغرب والإسلام ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٧م.
٦١ ـ الدكتور يوسف القرضاوي: المدرسة الفكرية والمشروع الفكري ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٧م.
٦٢ ـ عندما دخلت مصر في دين الله ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٧م.
٦٣ ـ الحركات الإسلامية: رؤية نقدية ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٨م.

٦٤ ـ المنهج العقلي في دراسات العربية ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٧م.

٦٥ ـ النموذج الثقافي ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٨م.

٦٦ ـ تجديد الدنيا بتجديد الدين ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٨م.

٦٧ ـ الثوابت والمتغيرات في فكر اليقظة الإسلامية الحديثة ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٧م.

٦٨ ـ نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٨م.

٦٩ ـ التقدم والإصلاح: بالتنوير الغربي أم بالتجديد الإسلامي؟ ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٨م.

٧٠ ـ الحملة الفرنسية في الميزان ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٨م.

٧١ ـ الحضارات العالمية: تدافع أم صراع؟ ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٨م.

٧٢ ـ إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٨م.

٧٣ ـ القدس بين اليهودية والإسلام ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٩م.

٧٤ ـ الأقليات الدينية والقومية: تنوع ووحدة أم تفتيت واختراق؟ ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٨م.

٧٥ ـ السنة النبوية والمعرفة الإنسانية ـ نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٠م.

٧٦ ـ خطر العولمة على الهوية الثقافية ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٩م.

٧٧ ـ مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية ـ نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٠م.

٧٨ ـ في التحرير الإسلامي للمرأة ـ نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٣م.

٧٩ ـ المستقبل الاجتماعي للأمة الإسلامية ـ نهضة مصر ـ ٢٠٠٣م.

٨٠ ـ هل المسلمون أمة واحدة؟ ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٩م.

٨١ ـ الغناء والموسيقى: حلال أم حرام؟ ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٩م.

٨٢ ـ شبهات حول القرآن الكريم ـ نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٣م.

٨٣ ـ تحليل الواقع بمنهاج العاهات المزمنة ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٩م.

٨٤ ـ الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين ـ نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٠م.

٨٥ ـ الظاهرة الإسلامية ـ المختار الإسلامي ـ سنة ١٩٩٨م.

٨٦ ـ الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية ـ نهضة مصر ـ سنة ١٩٩٩م.

٨٧ ـ إسلاميات السنهوري باشا ـ دار الوفاء ـ سنة ٢٠٠٤م.

٨٨ ـ النص الإسلامي بين الاجتهاد والجمود والتاريخية ـ دار الفكر ـ دمشق ـ سنة ١٩٩٨م.

٨٩ ـ أزمة الفكر الإسلامي الحديث ـ دار الفكر ـ دمشق ـ سنة ١٩٩٨م.

٩٠ ـ المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد ـ دار المعارف ـ سنة ١٩٨٣م.

٩١ ـ العطاء الحضاري للإسلام ـ مكتبة الشروق ـ سنة ٢٠٠٤م.

٩٢ ـ إسلامية المعرفة ماذا تعني؟ ـ دار المعارف ـ سنة ١٩٩٩م.

٩٣ ـ الإسلام وضرورة التغيير ـ دار المعارف ـ سنة ٢٠٠١م.

٩٤ ـ الإسلام والحرب الدينية ـ مكتبة الشروق ـ سنة ٢٠٠٤م.

٩٥ ـ ثورة الزنج ـ دار الوحدة ـ سنة ١٩٨٠م.

٩٦ ـ دراسات في الوعي بالتاريخ ـ دار الوحدة ـ سنة ١٩٨٠م.

٩٧ ـ الإسلام والوحدة القومية ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ سنة ١٩٧٩م.

٩٨ ـ الإسلام والسلطة الدينية ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ سنة ١٩٨٠م.

٩٩ ـ الإسلام بين العلمانية والسلطة الدينية ـ دار ثابت ـ القاهرة ـ سنة ١٩٨٢م.

١٠٠ ـ فكر التنوير بين العلمانيين والإسلاميين ـ دار الوفاء ـ القاهرة ـ سنة ١٩٩٥م.

١٠١ ـ سلامة موسى: اجتهاد خاطئ أم عمالة حضارية؟ ـ دار الوفاء ـ سنة ١٩٩٥م.

١٠٢ ـ العالم الإسلامي والمتغيرات الدولية ـ دار الوفاء ـ سنة ١٩٩٧م.

١٠٣ ـ عالمنا: حضارة أم حضارات؟ ـ دار الوفاء ـ سنة ١٩٩٧م.

١٠٤ ـ الجديد في المخطط الغربي تجاه المسلمين ـ دار الوفاء ـ سنة ١٩٩٧م.

١٠٥ ـ العلمانية بين الغرب والإسلام ـ دار الوفاء ـ سنة ١٩٩٦م.

١٠٦ ـ محمد عبده: سيرته وأعماله ـ دار القدس ـ بيروت ـ سنة ١٩٧٨م.

١٠٧ ـ نظرة جديدة إلى التراث ـ دار قتيبة ـ دمشق ـ سنة ١٩٨٨م.

١٠٨ ـ القومية العربية ومؤامرات أمريكا ضد وحدة العرب ـ دار الفكر ـ القاهرة ـ سنة ١٩٥٨م.

١٠٩ ـ الفكر القائد للثورة الإيرانية ـ دار ثابت ـ القاهرة ـ سنة ١٩٨٢م.

١١٠ ـ ظاهرة القومية في الحضارة العربية ـ الكويت ـ سنة ١٩٨٣م.

١١١ ـ رحلة في عالم الدكتور محمد عمارة ـ حوار ـ دار الكتاب الحديث ـ بيروت ـ سنة ١٩٨٩م.

١١٢ ـ نظرية الخلافة الإسلامية ـ دار الثقافة الجديدة ـ القاهرة ـ سنة ١٩٨٠م.

١١٣ ـ العدل الاجتماعي لعمر بن الخطاب ـ دار الثقافة الجديدة ـ سنة ١٩٧٨م.
١١٤ ـ الفكر الاجتماعي لعلي بن أبي طالب ـ دار الثقافة الجديدة ـ سنة ١٩٧٨م.
١١٥ ـ إسرائيل هل هي سامية؟ ـ دار الكاتب العربي ـ القاهرة ـ سنة ١٩٦٨م.
١١٦ ـ الإسلام وأصول الحكم: دراسات ووثائق ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ سنة ١٩٨٥م.
١١٧ ـ الدين والدولة ـ الهيئة العامة للكتاب ـ سنة ١٩٩٧م.
١١٨ ـ الاستقلال الحضاري ـ الهيئة العامة للكتاب ـ سنة ١٩٩٣م.
١١٩ ـ الإسلام وقضايا العصر ـ دار الوحدة ـ بيروت ـ سنة ١٩٨٤م.
١٢٠ ـ الإسلام والعروبة والعلمانية ـ دار الوحدة ـ سنة ١٩٨١م.
١٢١ ـ الفريضة الغائبة: عرض وحوار وتقييم ـ دار الوحدة ـ سنة ١٩٨٣م.
١٢٢ ـ التراث في ضوء العقل ـ دار الوحدة ـ سنة ١٩٨٤م.
١٢٣ ـ فجر اليقظة القومية ـ دار الوحدة ـ سنة ١٩٨٤م.
١٢٤ ـ العروبة في العصر الحديث ـ دار الوحدة ـ سنة ١٩٨٤م.
١٢٥ ـ الأمة العربية وقضية الوحدة ـ دار الوحدة ـ سنة ١٩٨٤م.

١٢٦ ـ أكذوبة الاضطهاد الديني في مصر ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة ـ سنة ٢٠٠٠م.

١٢٧ ـ في المسألة القبطية: حقائق وأوهام ـ مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة سنة ٢٠٠١م.

١٢٨ ـ الإسلام والآخر: من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟ ـ مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة سنة ٢٠٠١م.

١٢٩ ـ في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام ـ مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة سنة ٢٠٠٣م.

١٣٠ ـ الإسلام والأقليات: الماضي والحاضر والمستقبل ـ مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة سنة ٢٠٠٣م.

١٣١ ـ مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية ـ مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة سنة ٢٠٠٤م.

١٣٢ ـ الغرب والإسلام: أين الخطأ؟ وأين الصواب؟ ـ مكتبة الشروق الدولية ـ سنة ٢٠٠٤م.

١٣٣ ـ مقالات الغلو الديني واللاديني ـ مكتبة الشروق الدولية ـ سنة ٢٠٠٤م.

١٣٤ ـ في فقه الحضارة الإسلامية ـ مكتبة الشروق الدولية ـ سنة ٢٠٠٣م.

١٣٥ ـ الدراما التاريخية وتحديات الواقع المعاصر ـ مكتبة الشروق الدولية ـ سنة ٢٠٠٤م.

١٣٦ ـ في المشروع الحضاري الإسلامي ـ مركز الراية ـ جدة ـ سنة ٢٠٠٤م.

١٣٧ ـ شخصيات لها تاريخ ـ مركز الراية ـ جدة ـ سنة ٢٠٠٤م.

١٣٨ ـ شبهات وإجابات حول القرآن الكريم ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ سنة ٢٠٠١م.

١٣٩ ـ الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ سنة ٢٠٠١م.

١٤٠ ـ شبهات وإجابات حول مكانة المرأة في الإسلام ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ج١، ٢، ٣ ـ سنة ٢٠٠١م.

ب ـ دراسة وتحقيق:

١٤١ ـ الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت سنة ١٩٧٣م.

١٤٢ ـ الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت سنة ١٩٧٩م.

١٤٣ ـ الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ سنة ١٩٩٣م.

١٤٤ ـ الأعمال الكاملة لعبدالرحمن الكواكبي ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت سنة ١٩٧٥م.

١٤٥ ـ الأعمال الكاملة لقاسم أمين ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ سنة ١٩٨٩م.

١٤٦ ـ رسائل العدل والتوحيد ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ سنة ١٩٨٧م.

١٤٧ ـ كتاب الأموال ـ لأبي عبيد القاسم بن سلام ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ سنة ١٩٨٩م.

١٤٨ ـ رسالة التوحيد ـ للإمام محمد عبده ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ سنة ١٩٩٣م.

١٤٩ ـ الإسلام والمرأة في رأي الإمام محمد عبده ـ دار الرشاد ـ القاهرة ـ سنة ١٩٩٧م.

١٥٠ ـ فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ـ لابن رشد ـ دار المعارف سنة ١٩٩٩م.

١٥١ ـ التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ ـ لمحمد مختار باشا المصري ـ المؤسسة العربية ـ بيروت ـ سنة ١٩٨٠م.

١٥٢ ـ الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ـ للشيخ محمد الخضر

حسين ـ نهضة مصر سنة ١٩٩٩م.

١٥٣ ـ السنة والبدعة ـ للشيخ محمد الخضر حسين ـ نهضة مصر سنة ١٩٩٩م.

١٥٤ ـ روح الحضارة الإسلامية ـ للشيخ الفاضل ابن عاشور ـ نهضة مصر ـ سنة ٢٠٠٣م.

ج ـ مناظرات:

١٥٥ ـ أزمة العقل العربي ـ دار نهضة مصر ـ القاهرة سنة ٢٠٠٣م.

١٥٦ ـ المواجهة بين الإسلام والعلمانية ـ دار الآفاق الدولية ـ القاهرة سنة ١٤١٣هـ.

١٥٧ ـ تهافت العلمانية ـ دار الآفاق الدولية ـ القاهرة سنة ١٤١٣هـ.

د ـ بالاشتراك مع آخرين:

١٥٨ ـ الحركة الإسلامية: رؤية مستقبلية ـ الكويت سنة ١٩٨٩م.

١٥٩ ـ القرآن ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ سنة ١٩٧٢م.

١٦٠ ـ محمد ﷺ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ سنة ١٩٧٢م.

١٦١ ـ عمر بن الخطاب ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ سنة ١٩٧٣م.

١٦٢ ـ علي بن أبي طالب ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ سنة ١٩٧٤م.

١٦٣ ـ قارعة سبتمبر ـ مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة سنة ٢٠٠٢م.

١٦٤ ـ حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ سنة ٢٠٠٢م.

١٦٥ ـ الشيخ الشهيد أحمد ياسين .. وفقه الجهاد على أرض فلسطين ـ مركز الإعلام العربي ـ بالقاهرة سنة ٢٠٠٤م.

١٦٦ ـ قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي ـ تحت الطبع.

١٦٧ ـ مقام العقل في الإسلام ـ تحت الطبع.

١٦٨ ـ الفتوحات الإسلامية: تحرير .. أم تدمير؟! ـ تحت الطبع ..

* * *

الفهرس

رقم الإيداع ٢٠١٢٧/ ٢٠٠٤

الترقيم الدولى I.S.B.N - 977-09-1151-8

الدراما التاريخية وتحديات الواقع المعاصر

- إن «الوعى» بالتاريخ هو الهدف من «قراءة» التاريخ.. وإذا كان التاريخ لا يعيد نفسه .. فإن له سنناً تحكم مسيرته، عبر القرون.. و الأمم.. والحضارات..
- وإذا كانت «الدراما» قد أصبح لها جمهور يفوق جمهور الصحيفة والكتاب .. وتأثير يجعلها ــ بعبارة رواد نهضتنا الحديثة ــ: «جامعة لتربية النفوس على مقاومة الجبروت و الجبابرة .. والجهاد لتحرير الأوطان .. و تهيئة النفوس لخدمة الشريعة» .. فإن «للدراما التاريخية» ــ على وجه الخصوص ــ سلطاناً يجعلها سلاحاً من أمضى أسلحة الثقافة فى واقعنا المعاصر .. فهى القادرة على جعل «الوعى بالتاريخ» طاقات فكرية خلاقة ، نواجه بها التحديات التى يفرضها علينا الأعداء هذه الأيام .. تحديات:

ــ الغزوة «الصليبية ــ الصهيونية»..

ــ والغواية الاستعمارية للأقليات..

ــ والتحالفات غير المقدسة ضد الإسلام ..

- ولفتح باب هذا الكنز الثقافى ــ أمام الباحثين .. والفنانين، والقراء ــ يصدر هذا الكتاب.



